لويس
Louis

رواية فلسفية

جبر المدى

للكاتب
محمد الويس

جَبْرُ المَرَح

حقوق الطبع والنشر والاقتباس
عامة وغير محفوظة

حلب – سوريا
الطبعة الأولى
2024

مراجعة:
وائل نجيب

تصميم الغلاف:
علا الجندي

محمد الويس

جبر المرح

مراجعة :

وائل نجيب

رواية فلسفية

لویس

Louis

مقدمة

عزيزي القارئ ستقرأ في هذه الصفيحات قصة قصيرة .. لا أريدك أن تكون متلقياً للقصة فأطرح عليك أحداثها وأشدك بأسلوب التشويق التدريجي كبائعةِ الهوى تعرض جزءاً من جسدها وتخفي الجزء الأكبر فيهيج الناظر طالباً المزيد ، أو أمارس عليك سحر الغوغائية الكلامية فيعجبك شكل الكلام لا فحواه ،

هي ليست رواية تقرأها فتعجبك وتقوم بنشر اقتباسات منها على صفحتك او لا تعجبك فتقوم برميها .

إنما أطلب منك أن تكون قاضياً تبدي رأيك الحقيقي وتحكم بالعدل بين شخصيتي القصة (مرح و محمد) ، ولكي تحكم بالعدل يجب أن تسمع من الطرفين ولكن أنا من سيسرد القصة عليك فاعتبر كل ما فيها صحيحاً .

وأيضا لدي غاية أسمى، هي أن تتعلم منها لذلك قسمت القصة لفصول وعنونت كل فصل بنصيحة.

- قد تسأل الآن ماذا أريدك أن تتعلم ؟

حتى لا تكون على – أقل تقدير – مجرماً في الحب ففي هذه الرواية قد كتبت لك قصة مريرة تتيح لك القراءة عدم الوقوع في شراك الإجرام .

إنني أريدك ان تحدث ثورة في نفسك وتفكيرك أريدك أن تفتح عقلك وان تتجرد من كل الافتراضات المسبقة عن الحب والمرأة والجنس ، فلا تجعل من درجة حرارة الاعتقاد معياراً لصوابه ،

أن ترى الأمور بعيني حبيبك أولاً قبل أي تصـــرف ! ، وأن تتوخى الحذر بعلاقتك العاطفية وأن تحمي من كنت حبيبه وكان حبيبك ،

تتيح لك القصة فهم سيكولوجية المرأة بالضبط وأيضا تقييم تصرفاتك فتعرف إن كنت وغداً أو إنسانا لطيفاً.

ولأن لا شيء يأتي بالمجان كان لا بد من أحد يضحي بنفسه كي تصلك تلك القصة وتفهم المغزى وتعي الفكرة ، كحال ضفدع التجارب المخبري !

تلك الضـحية كانت مرح ! ،فتاة أجبرت على التضـحية ولم تخترها ، أريدك أن تصـغي لقصتها ، امرأة فدائية أفدت قلبها ومستقبلها .

فعندما أتكلم عن حزنها أتكلم عن كل الحزن وعندما أتكلم عن جسدها أتكلم عن كل الأجســاد ، إن ما أكتبه لهذه الفتاة لا يخصــها وحدها بل يخص نســاء الأرض جميعاً .

لأن تلك المرأة – والتي سنتفق بنهاية القصة على أنها اعظم امرأة في الوجود – رغم ما جرى لم تفصـح ببنت شـفة ، لأننا نعيش بمجتمع غير سـوي ، لا يسـمح لها بالحديث ، ربما تنظر – عزيزي القارئ – للقصـــة على أنها مكررة فليس جديداً أن تحتضـر امرأة في هذا الشـرق فنصـف تراب صـحارينا معجون برماد الضـفائر الطويلة والنحور المطعونة .

ليس جديداً في منطق " الكس" أن تصـبح الشـتائم عندنا باسـم العضـو الذي أنجبنا فنحن ندحرج قلوب النسـاء كما ندحرج أحجار النرد في مقاهينا ، قبل شـهريار وبعد شـــهريار نحن نغتال العصـــافير المؤنثة نســـلخها ونأكلها ونمســـح بدمائها شـــواربنا

المهترة كأذيال الكلاب ، ولا أرمي هنا إلى العادات والتقاليد والدين أبداً ولا أخاف من تلك التهمة ولا أرفضها ، بل أرمي إلينا كمجتمعٍ شرقيٍ كامل ، كافرنا وفاسقنا مؤمننا وملحدنا ، متعصبين أو منفتحيين ، راقيين أو شعبيين ، جميعنا نشترك في قتل المرأة وحصارها وإيداع آلاف العقد في خزينتها النفسية ، نحن خلاصة الأنانية وشهوة التملك والإقطاع نحن النفاق الذي يمشي على قدمين ، نحن رجال الشرق أقذر شيء مر على البشرية .

لذا سأتحدث بكل جوارحي ، بلين وشراسة ، بطفولة ووحشية ، بحقد وغفران ، بكفرٍ وإيمان ، باحتقار وسخرية ، بهدوء وعصبية ، بشجاعة وتحدٍ ، بطلاقة من قضى آلاف السنوات ممنوعاً من الكلام .

و في هذا القبيل يقول محمود درويش :

وأنت تحرر نفسك بالاستعارات

فكر بغيرك !

هناك من فقدوا حقهم في الكلام

في أوائل خريف نوفمبر لعام 2023 ، عثرت على هذه المرأة الكنز .

كان حضورها أكبر من كل أسئلتي ، وكانت قضيتها أكبر من كل التفاصيل والعناوين والاسماء ، تحدثت معها على الماسنجر وأنا لا أعرف عنها سوى أنها كانت جميلة ورائعة وشجاعة .

قضيت معها شتاء كاملاً وكعادة كل القصص :

لا بـــد أن تعـــود للعـــدم
شيئا فشيئا يسـكت النغم
ويهدأ الرقص وتتعب القدم
رفعت الصحف وجف القلم

ومع غياب شمس اليوم السابع والعشرين من شهر فبراير لعام 2024 غاب المرح عن حياتي .

وتلك القصـة التي سـأسـردها لك حدثت ما بين تاريخي بداية ونهاية العلاقة ، إنها قصة فتاة رقيقة وشاب مجرم قرر اغتيال حياتها ومستقبلها بمنشار الكذب والشك ونبش الماضـي وحب التملك ، تلك القصـة تجسـيد لقصـة الحسـناء والوحش غير أن وحشنا هنا وحش حقيقي بمظهر بشري جميل .

قد تتساءل لماذا أكتب تلك القصة بالتحديد ؟

ونحن نعيش حالة حرب مع كل شـيء نصـارع للسـفر ونجهد كل يوم للحصـول على متطلبات الحياة ولا نملك البال والمال للحب وأيضـاً نعيش بأمةٍ ممزقةٍ فنشـهد قتل الفلســطينيين يومياً وبلادنا تلتوي على أكبادها من فقرها وتصــبح وتمســي على مصيبة ؟

أقول : أردتك عزيزي القارئ أن تحدث ثورة في تفكيرك ونفسك وقبل كل شيء .

وأي ثورة يقوم بها الجيل الجديد لا تأخذ بعين الاعتبار تحرير الجيل من بعبع الحب وأفاعيه وعقده الطاحنة تبقى ثورة في الفراغ ، ثورة خارج الأرض والإنسان .

كل ثورة جديدة يجب أن تضـع في حسـابها إعادة الحوار الطبيعي بيننا وبين الحب ، وإعادته إلى مكانته الطبيعية كفاعلية إنسانية مبدعة وخلاقة ، لا كـ لص خارج عن القانون تلاحقه شرطة الآداب العامة.

مالم نفتح أمام الحب الضوء الأخضر ، فسوف نظل مرتبكين ومفلوجين ومعقدين ، ونظل نباتات شوكية لا تورق ولا تزهر وسنظل عاجزين عن أي إنجاز علمي وحضاري لأن فهمنا للحب يعني فهمنا لأنفسنا فالحب هو مرآة رغباتنا .

إن هذا وقت كل شيء ، وقت الانقضاض على كل شيء فالشاب العربي الآن يحاول ان يتغير ويغير .

سؤال أخير ربما تتساءله أيضا ؟

ما الذي دفعك لتصديق رواية مرح ؟ ، هل سمعت القصة من محمد ؟ ، ربما تكون مرح ظالمة وليست مظلومة ! ، ما هو مصدر القصة ؟

عزيزي القارئ ذلك المجرم الذي أسميته محمد والذي فطر قلبها وسلب فكرها هو أنا !

نعم أنا كاتب القصة وساردها وانا المجرم والجاني !

ولأن البشـريةَ لم ترتقِ لدرجةِ الوصـولِ لقانونٍ يعاقبُ على كسـر النفس وتحطيم القلب وخيبة الأمل ، أحببتُ أن أتجرد في هذه من شخصي ومن إسمي ومن نسبي ،

وأن أحيي ما تبقى من ضميري – هذا إن تبقى أصلا – وأن أضع قصة إجرامي بتلك الرواية حتى يحاكمني الجمع والمجتمع .

هذه الرواية الوحيدة التي ســـتقرأ فيها جلدا للذات ، والتي لا يريد كاتبها ان تكون فخورا به بل أن تبصق عليه ، لأن ذلك أقل ما يستحقه .

تذكر جيداً أن هذه القصة مكتوبة بأيدٍ ملطخة بقلب فتاة رقيقة وأملها وشغفها المحطم ، لذا لا تتعاطف مع الجاني ولا تبرر له ، فهو الشر المطلق .

وما فعله غير قابل للإصـــلاح ، ولربما أثرت فيك طرقة كلامه عن نفســـه بالســـوء فجعلك تحن إليه ، ، تذكر دائماً أن الاعتراف لا يخلص المجرم من العقاب بل لا بد من أن ينال جزاءه العادل .

ولقد كتب لك الشـيطان نصـائحه حتى لا تقع في شـراك الإجرام وتكون وغداً مثله ، وأيضا هو إعتذارٌ لك عزيزتي مرح .

على دفتر سأكتب كل إجرامي على دفترْ

سَـأرضِع كل فاصلةٍ حليب الكلمة الأشقرْ

بلا أمـــل بأن تبقـــى بلا أمـل بأن تنشرْ

فحسبي أن أبوح هنا لوجه البوحِ لا أكثرْ

محمد الويس

" كن قريبا ممن تحب أو لا تحب "

الفصل الأول :

عنوان هذا الفصل : " لو كنت في حلب "

القاعدة العامة : من علامة الاهتمام بالمكان .. نقصان الحب بمرور الزمان

القصة :

غرفة الفتاة المتعبة بلا ضوء ، صامتة سوداء ، علبة صغيرة من الحجر الرطب ، تخت غير مرتب ، تعود إليه دون حنين بعد ساعات من الحوار والنقاش مع محمد .

فصـــاحته ، أفكاره ، ارتياحه المادي ، شـــهادته الجامعية المقبلة ، كل ذلك يجعل مرح تستلقي على ظهرها ، فتى الأحلام بعد سبعٍ عجاف من الخيبة والهزيمة .

تنظر للســـقف والشـــتاء يرتعد خارجا ، وكان الليل آنذاك أغنية خشـــنة حارة طويلة ، يتعانق بحنان في عتمة كهوفها عذبة ، شتاء متوحش وجائع .

تركها محمد لكي تنام مبكراً كعادتها ، ولكنه تكرها مع سؤال وجودي !

لقد مضى 20 يوماً على تعرفنا وانجذابنا ، متى سنلتقي ؟ ، لماذا لا يستطيع المجيء إلي ؟

وفي الأبيات التالية تمثيل أوضح لأفكار مرح وتساؤلاتها :

مالي أحن لمن لم ألقهم أبدا ؟
ويملكون علي الروح والجسدا

* * *

وسنة الله في الأحباب أن لهم
وجها يزيد وضوحاً كلما ابتعدا

ويمضـــي اليوم بعد اليوم ومحمد يتجاهل طلبات مرح في المجيء لحمص لقضاء ساعات معها ، إنه يتهرب من لقاء التعارف !

يبدع الحب في الكلام ويتجاهله في التصرفات .

أقل ما يمكن أن تناله مرح هو سفر إليها ، ألهذا وصل الحال بها ؟

إنها مرح الواثقة الحالمة ، العزيزة الكريمة ، يصل بها الحال ان تترجى شابا كي يأتي للقائها ! هنا قررت مرح التعايش مع الأمر مكرهة لا بإرادتها حتى ينتهي امتحان محمد وحجته الغيابية .

وكانت مرح خائفة لأنه لو انتهت الامتحانات ولم يأت فستكون اول كسرة تعيشها .

انتهت الامتحانات وكانت أول جريمة لمحمد معها ، إذ لم يقم بالمجيء إليها ، رغم انتهاء الامتحان ورغم وعوده المتكررة بالمجيء .

يســافر محمد إلى حلب تاركاً خيال مرح وعوداً معســولة على اوتوســتراد حمص – دمشق . ومن هنا يبدأ التمني الآن ! لماذا كنت بعيدةً عني ؟

أيــها الراكــبُ المُيَمِــمُ أرضــي
أقرأ مــن بعضــي الســلامَ لبعضي

* * *

إن جسمــي كما علمــتَ بأرضٍ
وفــؤادي ومــالــكِيــهِ بأرضِ

لو كنت في حلب !

(1)

فـي مـــدينة الغـــــناء

تلك التي حدودها

تمتد بين الأرض والسماء

كنا سهرنا تحت ضوء القمر

ولامسنا بحب برودة المطر

وعرفنا لذة الضياع والسهر

كيف نبني الحب ولقاؤنا قدر ؟

(2)

لو كنت في حلب !

كنا اشترينا لطفلتنا قلادة

نختار اسمها قبل الولادة

ودخلنا جميع المساجد

وزرنا الكنائس والمعابد

ورأينا المآذن العالية تمشط الهواء

تحمل لله الصلاة والدعاء

صلاة أزلية ...

لا بدء لها ولا انتهاء

(3)

لو كنت في حلب !

لزرنا المدينة القديمة

تلك التي نساؤها

تبدع في النميمة

وأطفالها أساتذة

في الشتيمة

واشترينا من أسواقها الزخارف والأساور

وقرأنا في جدرانها المحبة والمآثر

فالرجولة في حلب بالحب لا بالخناجر !

(٤)

لو كنت في حلب !

لفعلنا أشياءً وأشياء

وزرنا مقام الخضر والأولياء

وحلمنا كما يحلم الأخرون

حلما تخطى نجوم السماء

(5)

لو كنت في حلب !

لما أحببتها أبدا

فمذ رحلتِ عنها لم تعد كما تعرفين

كل الشوارع فوضى ! .. كل الأزقة طين

لم يبق في المدينة غير طيفك والحنين

وبقايا حياة تذل الجبين

فهل بعد ذلك لحلب ستأتين ؟

عطشنا (خمرة الحب) ونسينا الأماني والوعود

ولم يعد (فوق لنا خل) غير المآسي والجمود

ماتت ليالي السهر وماتت معها القدود

(5)

لو كنت في حلب !

فـي مـــدينة الفـــــناء

تلك التي حدودها

تمتد بين الأرض والسماء

تحاول مرح اجتياز الشـــارع بينما تنظر إلى كل الوجوه أمامها ، أمنية أن ترى محمد بين العابرين في الطريق لا بين العابرين في الحياة .

وبينما تقطع مرح الإشارة المرورية، رسم منظر التقاطع الرباعي صورة في مخيلتها ، حبيبي محمد كل ما فينا يتقاطع ســـوياً أنا وأنت طبيبان وأنا وأنت حران فكرياً وأنا وأنت خذلنا من نحب ســـابقاً ولكننا نتقاطع باتجاهين مختلفين كحال التقاطع الذي أمامي.

وتركتها الإشارة المرورية مع سؤال وجودي مرة أخرى:

إن كانت الإشارة الخضراء مسيرٌ لي، والحمراء مسيرٌ لك ، فمتى نلتقي لنسير معاً ؟؟

الشـــرح : أيها المحب إياك أن تدخل في علاقة لو كنت بعيداً عن حبيبك وغير قادرٍ على رؤيته وإشباع احتياجه العاطفي .

لأن ذلك سيترك في نفسه حسرةً في البداية وسيسهل عليه تركك في النهاية، فهو لم يتعلق بك ولم تربط ما بينك وبينه اللقاءات الكثر ولهذا لم تَخلق في ذاكرته الصورية مخزوناً يجعله يتمسك بك .

وإياك أن تغتر بالمكالمات والمحادثات الطويلة لأن تأثيرها كحبة المســـكن يزول تدريجياً .

فمع مرور الوقت بلا لقاء لن تجد في المكالمات الانبهار وســـتكون روتينية ومملة ولهذا كانت القاعدة " من علامة الاهتمام بالمكان .. نقصـــان الحب بمرور الزمان " ، ســـينقص الحب تدريجياً وللملاحظة ســـتنقص الثقة أيضـــاً فما أدراك وحبيبك ماذا تصنعان في يوميكما ؟

والمغزى من القصــة : قد يكون محمد صــادقاً في حججه بعدم المجيء لكنه قد أخطأ ببدء الحب قبل ضمان اللقاء الأول .

لذا لا تعط كلمة الحب قبل ترتيب لقاءين على الأقل ، لأن حججك وإن كانت صادقة ســتكون عبئاً عليك ، إذ يقول محبوبك لو كنت أعني له لأتى من أجلي رغم كل الظروف .

وفي هذا يقول الإمام الســهروردي شــعراً باللهجة الدارجة كان قد غناها صــباح فخري وأصبحت أغنيته أيقونةً من أيقونات القدود الحلبية :

على العقيقة اجتمعنا * * * نحن وسودَ العيون
ما أظن مجنون ليلى * * * قد جُن بعضَ جنوني
فيا عيون العَيوني * * * ويا جفون الجَفوني
ويا قلبي تصبر * * * على الذي فارقوني

لاحظ كيف جمع الســهروردي فكرتين متناقضــتين ظاهرياً مدغمتين باطنياً ، فكرة اللقاء (اجتمعنا) والهجر (جَفوني) ، أي إنه حينما التقى على العقيقة (الوادي الذي شقه السيل بعد نزول المطر) مع محبوبه جن من فرحه لدرجة أن مجنون ليلى يعد جنونه جزءاً صــغيراً من جنون الســهروردي ، ولما هجره المحبوب وجافاه أعيى ومرض فصــار فراقه صــعباً جداً لأنه نظر إليه ســابقاً واجتمع معه فخزن في ذاكرته ذكريات بينهما لم تجعل من الســهل فراقه فصــار فراقه يمرض وهجرانه يســقم ، عكس حــال مرح ومحمــد اللــذان لم يجمعهمــا إلا لقــاءان فقط ! ، فكــان ترك مرح لمحمد سهلاً جداً .

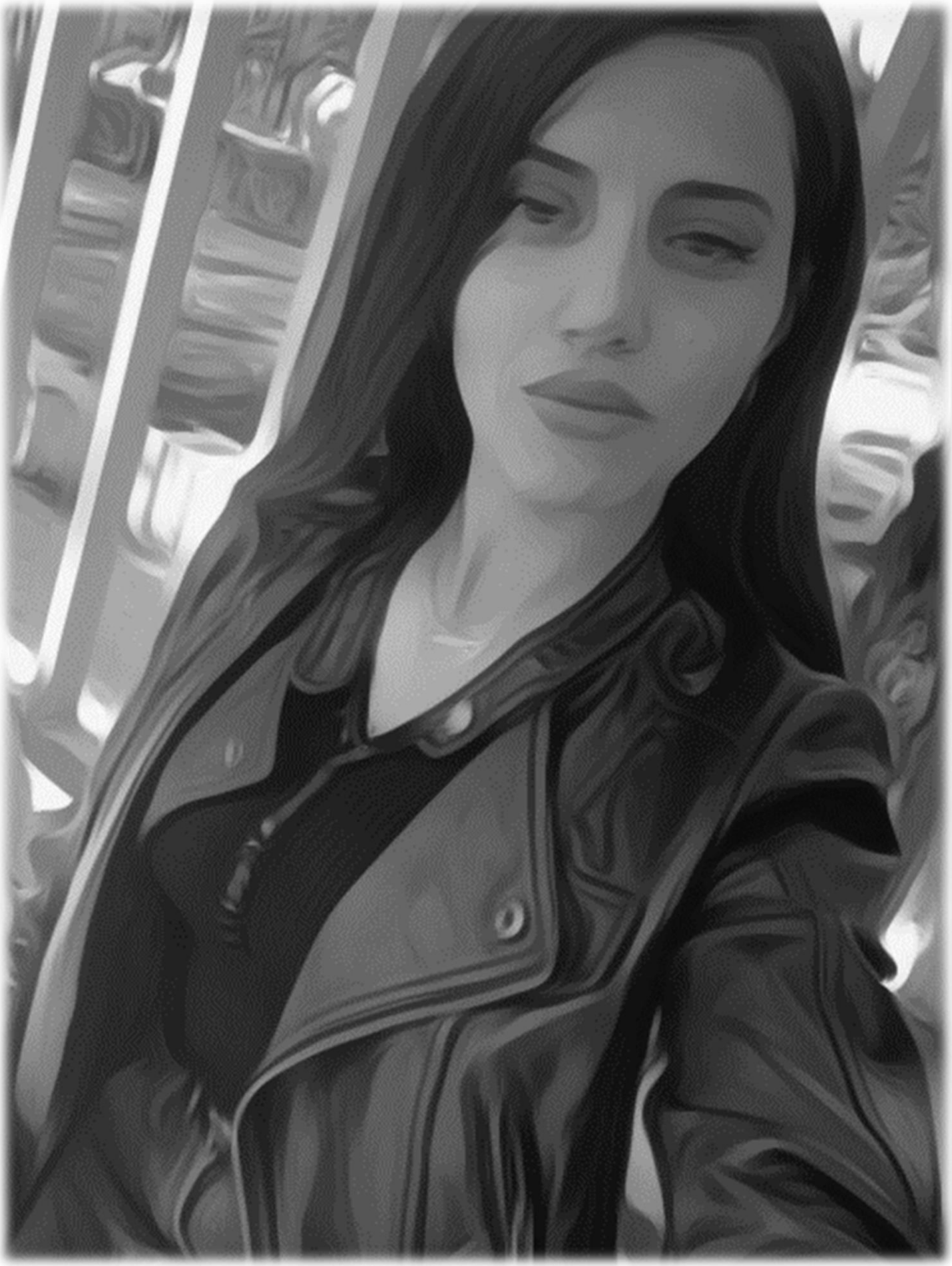

" لا تهتم للعمر مهما زاد أو نقص "

الفصل الثاني

عنوان هذا الفصل : لأنك أصغر مني

القاعدة العامة : كبيرة العمر لا تهربي .. لي وجه طفل وعقلٌ نبي

القصـــة : كان الجرســون في مقهى فيروز قصــير القامة ، أنظر إليه بتمعن وأكرر " من المستحيل أن أتزوج برجل قصير ! "

مط صـوته مطاً بليدا وهو يردد: " شـو بتحبي تشـربي ؟" ، إني أقرأ في عينيه رغبته في أخذ رقمي الهاتفي ، أو كما تتكلم الدارجة " تطبيقي " .

وابتعد عن طاولتي بتثاقل، ليعود بعد لحظات حاملاً فنجان القهوة ، إنني أحب الجلوس في هذا المقهى المنزوي ذي المشروب الرخيص ، فهنا يحلو لي أن أغمض عيني نصف إغماض ثم أنصت للصخب المتصاعد حولي : أغاني فيروز منسابة من المذياع ، رنين النرد المتدحرج على سطح الخشب الصلد ، ضحكات ، حبيبين جالسين خلفي يصل كلامهما إلى مسامعي مبعثراً .

أنصت لكل هذا بينما أفكر في حياتي التي هي حلم الكثير من الفتيات ! .

أعيش تناقضين معاً ، فأنا الطبيبة وصاحبة المستقبل الكبير وأنا الفاشلة المحملة بجبال من الهموم والماضي المؤلم .

درست الطب تسع سنين بدلا من ستة وتنقلت بين دمشق وحلب ، كرهتهما كليهما ، ولم أشتغل طوال وقتي بأي شي مفيد لذا فإن جيوبي تظل على الدوام خاوية .

وحالتي هذه لا تخجلني لأني أعتقد أن الجيوب الفارغة من النقود جزء من روح العصر الذي أعيش فيه .

ليس هناك ما أشكو منه ، إنني مستسلمة لطمأنينة تكاد تكون بلادة ، إنني أحشو معدتي في النهار مرة واحدة ، وأعتصر من والدي النقود التي أحتاجها .

ولقد طالما تساءلت : لماذا أعيش مادام ليس هناك ما أعيش لأجله ، ولا فائدة مطلقاً من وجودي ، لما لا أنتحر ؟

أعجبني جدا هذا السؤال ، فقد جعلني أغرق في أحلام وتصورات عنيفة قاسية حزينة ولكنها لذيذة للغاية ، أتخيل أهلي وأصدقائي فلا بد من أن موتي سيكون مفاجأة أليمة لهم .

فأمي ستبكي وتصرخ وتولول ، وأبي وإخوتي سيبكون بحرقة نادمين على عدم اهتمامهم بي ، وأما بالنسبة لأقاربي شيء طريق مسلٍ ، وكل من يعرفني سيجد نفسه مضطراً إلى تصنع الحزن ، وإلا فإن ألسنة الناس الحادة ستكون له بالمرصاد .

خرجت من مقهى فيروز أتجول في شارع الحضارة وأطالع بناظري انعكاس نفسي على زجاج المحال التجارية ، ما زال شكلي صغيراً لم يتغير إلا أنهم أخبروني أنني أصبحت في الثامن والعشرين من عمري .

الثامن والعشرون برأيي البشرية يعني أني كبرت ، يا للسخرية 28 دورة للأرض حول الشمس تجعل مني عجوزاً مع أن شكلي لم يبدي ذلك بعد !

إنه المنطق الذكوري كالعادة ، ينظر إلي الذكر من ناحيتين فقط بشكل رئيسي ، المظهر والخصوبة.

مع مرور الوقت يتراجع مظهري باســـتمرار وأفقد جزءا من خصـــوبتي وتلك الاخيرة سنوات قليلة وأفقدها نهائيا ، حينما أمر أمام مدرسة للفتيات يزداد تلقائياً متوسط الأعمار إلى الضعف !

يلاحقني السـؤال الذي يقتحم عقلي باسـتمرار ، أحاول الهرب منه دائما والتفكير بأي شـــيء حولي . حينما بدأت بســـرد القصـــة في مقهى فيروز كان لتوه قد قفز في عقلي ، يبدو أن كل ذلك الكلام لم ينجح وعدت الآن لنقطة الصـــفر ، دائرة مفرغة أهرب منها إليها .

ما الذي يجعل شابا في الثالث والعشرين من عمره يغرم بي! ، كيف سأنجو من حسرة أمه عليه أثناء الخطبة أو نظرات أقاربه وتفحصهم لي بكره شديد ، وحتى لن أسلم من أهلي وشكهم ؟

كيف ســيكون شــكل العلاقة ؟ ، هو طفل بعقل رجل ، كيف ســنكون معا مع هذا الفارق ، سيصبح عمري ٦٥ سنة وتبدأ التجاعيد في وجهي بالظهور بينما يكون هو في الخامسة والثلاثين في أوج أوج شبابه !

هل ســأســتطيع حينها تلبية رغباته ؟ إشــباع عينه الذكورية المتطفلة على خلفيات البنات ونهودهن !

شاب بهذا المركز والشكل ستفتح النساء سيقانهن له بكل سرور .

ما الذي جعله يختارني ؟ .

وبينما أحاول الهروب مجددا من هذه الاســـئلة فبعد كل مرة يصـــبح الأمر أكثر صعوبة .

يرن هاتفي !

إنه محمد حبيبي !

، نافذتي للهروب من واقعي

شكرا يا ذاتي ويا مخلصي ،

إنه يكرر لي باســـتمرار أنني طفلته وأنه أكبر مني وأنه ينظر للفتيات جميعاً على أنهم أصغر منه ويبرر أن الأنثى تبقى أنثى مهما كبرت تحب الاهتمام وتغار من كل شيء .

أرد عليه بحماس البدايات واندفاع الأطفال ، ســـأضـــع حياتي كلها تحت إمرته لن يخذلني أبدا .

وسأرمي بأسئلتي السخيفة عرض الحائط ، أسئلة شيطانية تتقفز إلى رأسي كأسئلة الإلحاد في عقول المؤمنين !

أرد : بون ســـوار حبيبي (وجوارحي تنطق : بون ســـوار يا حبيبي تقبر قلب حبيبتك يا عمرها وأملها أنت) .

لأنك أصغر مني !

(1)

لأنك أصغر مني أنا لا أستطيع

فلا تطلب الحب

ولا تمارس سياسة التطبيع

فمرحك التي تحب خجولة

يهواها الجميع

أسكن حمص منذ طفولتي

ومازلت في شوارعها أضيع

اسأل مرآة غرفتي كم مرة حدثتها ؟

كم مرة نزعت ثيابي وأريتها ؟

ونظرت إلى نهدي الرفيع

متى ستكبر يا نهدي ؟

أبعد يوم أم بعد أسابيع ؟

ألست شيئاً مني

ألست تعيش ضمني ؟

فلماذا يسمن الجميع ؟

وتبقى صغيرا كحمل وضيع

وأمشي إلى حمام غرفتي

بدون ثياب

على رؤوس الأصابيع

وألهو بصابونة الحمام

وأصنع منها فقاقيع

فكيف تريد مني طفولتي أن أبيع ؟

(2)

لأنك أصغر مني !

لن أشعر أنك تحميني

لن أشعر أنك تغريني

فأنا كفتاةٍ يكفيني

رجلٌ قبضته من طينِ

وأنا كامرأةٍ يُرضيني

أن يصفعَ خدي وجبيني

أن يبنيَ في قلبي خوفاً

يؤوي الحبَ ويؤويني

(3)

يجاوب الحبيب :

لي مرحٌ في دروبِ الغيمِ عائمةٌ [1]

على جبينِ السما تطفو وتنزلقُ

فللغيومِ مرورٌ فوقَ نافذتي

وفي جوارِ سريري يرتمي الأفقُ

خيالُ الغيمِ في مرحٍ تَجَسُدُهُ

فيستريحُ لدينا ثم ينطلقُ

يُقصرُ الشوقُ من عمري ويتلفني

إذا مَشيتُ مَشتْ من فوقيَ الطرقُ

النار في جبهتي النار في رئتي

وريشتي بسعال الشوقِ تختنقُ

نهرٌ من النار في صدغي يعذبني

إلى متى وطعامي والخوفُ والأرقُ ؟

وقبل المضي وقبل الرحيل

وما بين حديث يقال وآخر قد قيل

أرجوك يا حبيبتي باسم الجليل

فلنتناقش عزيزتي بالكلام الجميل

سأحكي لك حكاية

ألخص فيها كل الرواية

يحكى في حديث الزمان

في سالف العصر والأوان

عن فتاة اسمها مريم

أحبت رجلا بالشعر متيم

وسردت له قصة محبوبها العابر

عن أفكاره التي تشبه الأظافر

وحوارهما اليومي بالخناجر

عن ذنوبهما عن كل الكبائر

وأخذت تنظر بحرقة إليه

ومالت قليلا على كتفيه

وقالت هامسة لأيامها :

لو أنني الحب الوحيد لديه

لماذا أكبره بخمس سنين ؟

وهل العمر يقيس الحنين

سيصبح عمري تسع وعشرين

صار عمري تسع وعشرين

(٦)

كل ما في داخلي غنى وأزهر

وشاماتي البنية صارت كحب الهال أخضر

وعلى رخامة صدري الورد أزهر

فنم عليه كل يوم واسهر

وصب عليه من كأس الجنس واسكر

جربه مرة واحدة وستتخدر

لقد كان سويا في طفولتي

فاليوم صار مدوراً فتصور

خمس سنين بيني وبينك

صدقني لا فرق يذكر

سأفهم كل حاجاتك وأفعل

ونمارس الجنس كما تتخيل

سأفرد شعري كما تحب على كتفي

وأبدو كالأميرات بزيٍ عربي

أنت بعد اليوم لن تخجل في

فأنت الآن مني أطول

(5)

سأمشي حافية القدمين

حتى يراك الجميع أطول

بإصبع أو إصبعين !

وحينما تشب سأشيب

ويصبح حسني بينَ بين

سألبس لك يومياً

فساتيناً تعري الركبتين

حتى تراني كل يوم أجمل

وتريحني من عقدة الحاجبين

الشـــرح : غالباً ما تقدم المرأة للرجل حبا مشـــروطاً ، مشـــروطاً بذكائه ومكانته الاجتماعية وماله وما سيمنحه لها ، لذلك لن تجد فتاة تدرس الطب مثلاً تتزوج من عامل مقهى !

بينما يقدم الرجل حباً غير مشـــروط ، فلا يهم مكانة المرأة ومالها وذكائها لذلك قد تجد طبيباً يتزوج من أمية أو ذات تعليم متدني .

- كيف نفض التعارض بين اختيار الرجل للمرأة بناء على جمالها الجســـدي وبين ادعاءنا أنه يقدم حبا غير مشروط ؟

أقول إننا كبشرية تطورنا لنميز الصفات التي تصلح للبقاء ، ففي المملكة الحيوانية يكون الذكر أجمل من المرأة ، لاحظ ذكر الطاووس وريشـــه وقارنه بالأنثى ، وذكر الأسد وفروه ومظهر اللبوة وشكل الديك وشكل الدجاجة !

والسبب في كون الرجل في المملكة الحيوانية أجمل أن المرأة هي من تختار تحديد النسل فيضطر الذكر ليكون جميلاً حتى يقنع الأنثى بأن تشاركه بويضاتها معه ، لأن البويضـات محدودة وتسـتغرق الأنثى وقتا طويلاً في الحمل والارضـاع على عكس الذكر غير محدود النســـل والذي يمكنه التلقيح بأي وقت ، لذلك تختار الانثى ذكرها بعناية ويكون هو المتزين لها حتى ترغب به ويفقد حظوظه باسـتمرار نسـله كلما كان أقبح أو مع التقدم في العمر .

الاسـتثناء الوحيد من المملكة الحيوانية هو الجنس البشـري ! ، إذ تكون المرأة أجمل من الذكر ومع ذلك هي من تختار شريكها !!

وجرت العادة البشرية أن يتقدم الرجال للمرأة وتختار فيما بينهم لا العكس فاشتركت بهذه مع بقية أفراد النوع الحيواني وتفردت بالجمال وحدها ، إذا فبحسب ماذا تختار المرأة زوجها ؟

إنها تختاره بحسب المكسب المادي والمكانة الاجتماعية ، ففي إنسان الغاب كانت المرأة تختار الرجل القوي الذي يصطاد كل يوم ويؤمن طعامه ويكون سيد قومه ، ولأن هذا الرجل يشكل نسبة قليلة من الرجال أصبح لديه وفرة من النساء فاضطرت المرأة أن تكون جميلة وأن تتزين حتى يرضى هو بها ، وأما بقية الرجال الضعفاء فكانوا يتزوجون النساء القبيحات ! ، وهنا نكون أقد أقحمنا أنفسنا في سؤال وجودي ك حال مرح في الفصل السابق .. ما هو الجمال ؟ وكيف ميز قرر الإنسان أن يحدد صفات الجمال ؟ أهو وعي وجودي أم فطرة ؟

الجمال هو قيمة مرتبطة بالغريزة والعاطفة والشعور الإيجابي، وهو يعطي معنىً للأشياء الحيوية، ليس له وحدة قياس فكل إنسان يراه بشكل مختلف ، ولكل عصر صفات جمال خاصة به ، فمثلا كانت العرب سابقاً وحتى وقت قريب تتفق أن جمال المرأة ينحصر في كون لون بشرتها سمراء وعيونها بنية .

إن النظريات الحديثة للجمال ترجع مقاييسه إلى أعمال الإغريق الفلسفية قبل فترة سقراط وتربطه بالعلاقة بين علم الرياضيات والجمال، وهذا ما يؤيده بعض الباحثين الجدد .

النسبة الذهبية والجمال :

في الرياضيات، تحقق قيمتان عدديتان النسبة الذهبية إذا كانت النسبة بين هذين العددين 1.6180339887 تقريبا. لو نُظر إلى مستطيلات مختلفة، لوُجد بعضها أجمل من الآخر. وفي معظم الأحيان تكون نسبة أبعاد هذه المستطيلات بعضها

إلى بعض هي نفسها. وتسمى هذه المستطيلات «المستطيلات الذهبية» وخارج قسمة طولها على عرضها يسمى «الرقم الذهبي». الرقم الذهبي معروف على الأرجح منذ عصور ما قبل التاريخ. فقد استعمله مهندسون وفنانون كثر منذ العصور القديمة. فهرم "خوفو"، المبني في سنة 2800 ق م. تقريبا، يظهر أن مهندسه استعمل الرقم الذهبي وكذلك شأن "البارثينون" بأثينا، الذي تم بناؤه في القرن الخامس ق.م وأيضا يوجد في أهرامات الجيزة بمصر. كما يظهر الرقم الذهبي كذلك في ميدان الموسيقى ذلك أن صانع الكمانات الإيطالي «أنتونيو ستراديفاري» (و اشتهر كـ«ستراديفاريوس») استخدم هو الآخر هذا الرقم في صنع كماناته الشهيرة مع نهاية القرن السابع عشر للميلاد. الرقم الذهبي يوجد في الصناعات الإنسانية والطبيعة لإضافة الجمالية فمثلا هو مستعمل بشكل تقريبي في:

- ملامح وجه الإنسان.
- التحف الفنية الحديثة والقديمة.
- ميدان الموسيقى.
- الشكل الهندسي لنجم البحر الذي يمتاز بشكل خماسي الأضلاع المتداخل.
- شكل قوقعة الحلزون الهندسي.
- أو في زهرة دوار الشمس أو في حراشف الصنوبر («تفاح الصنوبر»).

ويبدو أيضا أن خارج قسمة الطول الإجمالي لجسم الإنسان على ارتفاع السرة عن الأرض مساوٍ، هو الآخر، للرقم الذهبي .

كيف تغيرت معايير الجمال الأنثوي على مر القرون ؟

سئل الفيلسوف اليوناني أرسطو ذات مرة عن سبب هوس الناس بالجمال، فأجاب "لا يسأل هذا السؤال إلا رجل أعمى". في حين رأى أبو الفلاسفة سقراط أن الجمال

"طاغية قصـــير الأجل". أما الإغريقي ثاوفرســـطس فقد عبر عنه قائلًا إن "الجمال مخادع لكنه صامت".

هؤلاء الفلاســـفة وغيرهم تناولوا جمال النســـاء الخارجي بتلك النبرة التهكمية على الرغم من أن أدوات التجميل ومستحضراته في ذلك العصر كانت محدودة وبسيطة، إلا أن محاولات تجمُّل النســـاء ذاتها كانت محط ســـخرية حتى بلغ الأمر بالشـــاعر الروماني جوفينال أن سخر من وجوه النساء لأنها "مغطاة بالورنيش والدهانات". كل هذا النقد اللاذع كان قبل مســـتحضـــرات التجميل الحديثة وعمليات الشـــد والنحت وغيرها.

وعلى اختلاف الثقافات وتعددها، ظلت هناك ســـمات مشـــتركة حول ماهية الجمال الأنثوي متوارثة منذ القدم. فحتى مطلع القرن الـــ21 كانت معظم الثقافات تتفق أن النســـاء يتمتعن على المســـتوى الداخلي بقدرات نفســـية وميول فريدة من نوعها بحكم طبيعة جنسهن تجعلهن مناسبات تمامًا للعمل المنزلي ورعاية الأطفال .

وعلى المســـتوى الخارجي، خضـــع جمال المظهر لتغييرات متباينة على مر القرون واختلف من ثقافة إلى أخرى؛ فلا نكاد نجد قواعد عالمية متفقا عليها تحدد بوضـــوح ما هية الجمال. وهناك لوحات متنوعة توضـــح حجم الاختلاف الكبير الذي كثيرًا ما يصل إلى التناقض في مفهوم الجمال الأنثوي.

"جمال الأشياء موجود في العقل الذي يتأملها"– ديفيد هيوم، فيلسوف أسكتلندي

معايير القرن الـ١٦

رسم الفنان الإيطالي بيترو دا كورتونا في عشرينيات القرن الـــ١٦، في الفترة ما بين 1627 إلى 1629، إحدى أكثر اللوحات تعبيراً عن معايير الجمال الأنثوي في العصـــور الوسـطى، وفقًا لقاعدة بيانات الفنون والعمارة الأوربية، وهي "سـبي نسـاء السـابين" (The Abduction of the Sabine Women).

وقد سـبى الرومان نسـاء السـابين –وهي قبيلة إيطالية قديمة عاشـت في شـمال شـرقي روما– بعد أن هزموهم في معركة ثرموبيلاي. وعلى الرغم من أن موضـوع اللوحة نفسـه أسـطوري، من الميثولوجيا الرومانية، فإن تمثيل بيترو للنسـاء خضـع تمامًا لمعايير جمال عصره.

فالنساء في اللوحة شأنهن شأن نساء العصور الوسطى، يتمتعن بدرجة من البدانة التي كانت في تلك الفترة أبرز معايير الجمال الأنثوي؛ فبدانة المرأة كانت علامة على خصوبة الجسد الأنثوي وصلاحيته للحمل والرضاعة، على عكس اليوم إذ تعدّ دهون منطقة البطن كرشا يجب شفطة.

ونرى في لوحة بيترو عرضا مسرحيا نابضا بالإيماءات الحية والحركات العنيفة والألوان الثرية وكثافة التفاصيل، وهو الأمر الذي تميزت به لوحات عصر الباروك، فالتركيز على ملحمية المواضيع والتفاصيل والألوان كان أبرز السمات حتى يكاد المشاهد يسمع صرخات نساء السابين تخرج من اللوحة .

معايير القرن الـ18

كان لدخول أوروبا عصـــر التنوير أثر بالغ في مناحي الحياة كافة، بما في ذلك تغير موضات الشعر ومستحضرات التجميل، فقد ظهرت سمات معينة للثياب وتسريحة الشعر تدل على الطبقة الاجتماعية للمرأة، وتفاوتت الطبقات بقدر بروز تلك السمات خارجيًا.

الأرستقراطيات مثلا كان لا بد لهن من ارتداء شعر مستعار باللون الرمادي، كما ارتداه الرجال أيضًا بحلول نهاية القرن، ونرى في لوحة "بورتريه للآنسة دوبلانت" (Portrait of Mademoiselle Duplant) للرسّام الفرنسي فرانسوا أندريه فنسنت (1746-1814) ظهورا واضحا لتلك المعايير.

تجلس الآنسة دوبلانت أمام البيانو وهي ترتدي شعرها المستعار والفستان المحبوك على الخصر عوضًا عن الأثواب الفضفاضة، كما تظهر أنحف من مثيلاتها في القرنين السابقين. فقد دفعت الثورة الصناعية النساء إلى خسارة الوزن بحكم العمل في المصانع حتى صار فقدان الوزن من معالم الجمال.

كذلك يكشف التركيب الخطي والمرتّب ونعومة الألوان ودقة تناظر الزوايا عن المبادئ الفنية الجديدة، وهي الميل نحو البساطة بعيداً عن تقاليد عصر الباروك التي ركزت على التفاصيل، إذ أصبح الرسام أكثر تركيزًا على الفكرة من التفاصيل.

معايير القرن الـ19

نرى في لوحات النساء في تلك الفترة ظهورا واضحا لسيادة معايير الرجل الأبيض في الجمال، التي صاحبت الغزو الأوروبي للشرق والحملات الاستعمارية الضخمة.

وقدم الرسّام الفرنسي وليام أدولف بوجيرو (1825–1905) وكذلك جون سينغر سارغنت وجون وليام غودوارد الجسد الأنثوي الرخامي كمعيار جديد للجمال.

النساء في لوحات القرن الـ19 أقرب إلى منحوتات من العاج أو الرخام؛ كلهن شديدات البياض يظهرن بمفردهن أحيانًا وأحيانًا أخرى مع العبيد أو الجواري المسبيين من أفريقيا في الحملات الاستعمارية.

وخضع الجمال الجمال في تلك الفترة للسياسات الاستعمارية مثلما خضع جمال النساء من قبل لمقتضيات الثورة الصناعية، ونرى في لوحة بوجيرو "عبء لذيذ" (Pleasant Pardon) مراهقة تحمل أختها الصغرى، وتظهر الفتاتان ببشرة شديدة البياض وملامح أوروبية.

معايير القرن الـ20

باندلاع الحربين العالميتين الأولى والثانية وظهور المدارس التشكيلية المتأثرة بنسبية آينشتاين وتنامي الموجات التحررية ضد سيادة الرجل الأبيض، ظهرت معايير جمالية أكثر تركيزًا على جوهر المرأة وحالتها النفسية.

وبالنظر مثلا في لوحة "بورتريه دورا مار" لبابلو بيكاسو، نجد أن الوجه الأنثوي يتحرر من أي معايير جمالية سابقة؛ فقد سعت

التكعيبيّة إلى إعادة تعريف الإنسان والأشياء من حوله بعيداًعن مفاهيم الجمال ومعاييره البرجوازية الرأسمالية الحداثية.

ما وجه الإنسان؟ ومن يرى هذا الوجه رؤية صحيحة؟ المصور الفوتوغرافي أم المرآة أم الرسام؟ هل علينا أن نرسم ما يبدو على الوجه، أم ملامح الوجه، أم الكامن وراء الوجه؟" بابلو بيكاسو، من مقال في مجلة التايم 1950.

معاير القرن الـ21

كعادة العلاقة بين الأوضاع السياسية ومعايير الجمال، شهد القرن الـ21 سطوة معايير نيوليبرالية بامتياز، فالنساء سواء كن يرتدين حجاب رأس أو لا، يتم تقييمهن وفقًا لمعايير الرجل الأبيض مرة أخرى، فالعلامات التجارية الآن أداة لتقييم كل شيء.

هذا فضلا عن الشفاة الممتلئة، والجسد النحيل، والرموش الصناعية، وجدائل الشعر المستعار، واللون البرونزي للبشرة الذي تكتسبه نساء الطبقات الثرية بحكم ذهابهن إلى المنتجعات والشواطئ السياحي .

خلاصة الجمال أنه فطري لميل مملكة الحيوان بشكل تلقائي تفضيل صفات عن صفات ، غير أن هذا التفضيل هو تفضيل مكتسب ومتطور مع الزمن ويختلف من شخص لآخر وبين الأعراق ، ولكن البشرية طورت نسبة ذهبية قربت من خلالها بين اختلافات البشر من حيث الجمال لاحقا مع مرور الوقت بدأ الإنسان يتفق على صفات موحدة للجمال بالتدريج ، كجمال المرأة .

لماذا ننجذب للجمال ؟

1. المنظور التطوّري : في جوهره، يمكن فهم تقديرنا للجمال من خلال منظور علم الأحياء التطوري. وهذه هي الطريقة:

من الناحية التطوّرية، تعتبر بعض السمات الجسدية جميلة؛ لأنها بمثابة مؤشرات على الصحة الجيدة واللياقة الإنجابية. وربما تشير البشرة الصافية والملامح المتناسقة والمظهر الشبابي إلى أن الفرد يتمتع بصحة جيدة وقوي وراثياً، ما يجعله شريكاً مرغوباً.

أسلافنا كانوا يفضلون البيئات التي تساعد من أجل البقاء على قيد الحياة. على سبيل الذكر، تشير المناظر الطبيعية التي تحتوي على المياه والأشجار والمساحات المفتوحة (التي تعد غالباً جميلة) إلى مصادر الغذاء والمأوى والسلامة من الحيوانات المفترسة.

2. الاستجابات العصبية :

الجمال ينير عقولنا بالفعل:

مراكز المتعة: عندما نستشعر الجمال سواءً في الفن أو الطبيعة أو إنسان آخر، يفرز الدماغ الدوبامين، وهو ناقل عصبي مرتبط بالمتعة والمكافأة والتحفيز.

تماسك العقل: تشير بعض الدراسات إلى أن مشاهدة الأعمال الفنية أو المشاهد الطبيعية المبهجة من الناحية الجمالية، يمكن أن يؤدي إلى زيادة التماسك في وظائف الدماغ، ما يعزز مشاعر السلام والهدوء.

3. الأثر النفسي والعاطفي :

للجمال أثر نفسي عميق على عقولنا، ويتجلى ذلك في:

تحسين المزاج: عندما نحيط أنفسنا بالجمال، سواء كان ذلك في شكل الفن أو الموسيقى أو طبيعة، فهذا يمكنه أن يرفع من معنوياتنا، ويساعد في الحد من الشعور بالتوتر والقلق.

الرمزية والارتباط: في كثير من الأحيان، نربط الجمال بالصـــفات الإيجابية مثل الخير والحقيقة والفضيلة. هذا الارتباط يمكن أن يعزز انجذابنا للأشياء والناس الجميلة.

٦. المؤثرات الثقافية :

يتأثر تصورنا للجمال بشكل كبير بالروايات الثقافية:

القيم المشتركة: على مر التاريخ، طورت الثقافات مفاهيم مشتركة عن الجمال تلخص قيمها ومعتقداتها وأعرافها المجتمعية. على ســـبيل المثال، في بعض الثقافات، يعتبر القوام الممتلئ جميلاً، لأنه يرمز إلى الرخاء والصـــحة، بينما في ثقافات أخرى، ربما يكون القوام النحيف هو المثالي.

الإعلام والثقافة الشـعبية: في الوقت الراهن، تلعب وسـائل الإعلام دوراً محورياً في تشـــكيل تصـــوراتنا عن الجمال. من الأفلام إلى الإعلانات، ونتعرض باســـتمرار لمعايير جمال معينة، والتي يمكن أن تؤثر بشكل كبير على تفضيلاتنا

5. فلسفة الجمال العالمية :

في حين تختلف تصـورات الجمال عبر الثقافات، إلا أن بعض العناصـر تبدو جذابة على الصعيد العالمي ،انجذابنا للجمال عبارة عن تفاعل معقد بين آليات تطورية، وكيمياء المخ، وعمليات نفسـية، ومؤثرات ثقافية. رغم أن تعريفات الجمال ربما تتغير وتتطور بمرور الوقت، وفي مختلف المجتمعات، يظل ميل البشـــر للبحث عن الجمال وخلقه وتقديره سـمة عالمية وخالدة. هذا الانجذاب نحو الجمال لا يعزز خبراتنا فحسـب، بل يربطنا أيضاً بتعقيدات إنسانيتنا الأكثر عمقاً.

خلاصة القول أن المرأة تقدم حباً مشروطاً ، والرجل يقدم حباً غير مشروط ، ولكنه تبعا لمركزه ولوفرة النساء أو شحهن حوله يختار الأجمل والأكثر خصوبة ، ولأن كلتا الصـــفتين متعلقتين بالعمر لذا أوردتهما في هذا الفصـــل ، إذ يقل جمال المرأة وخصوبتها مع تقدمها في العمر .

فإن كنت تفضل الخصوبة والجمال والعمر الصغير في محبوبتك فما سأقوله لاحقا حتى نهاية هذا الفصـــل لا يهمك ، وإن كنت تبحث عن الحب الكامل غير المشـــروط فافتح ذراعيك .

لا يمكننا معرفة إن كانت مرح قد قدمت حباً غير مشـــروط لمحمد أم لا ، فمركزه الاجتماعي كان ممتازاً ولا بأس به مادياً ، لكن يمكن الجزم أن محمد قد أحبها حبا غير مشروط بعمرها أو جمالها أو خصوبتها .

فمن قدسية الحب أن تنظر لمحبوبك بشكل كلي ، وأن تتعرى من صفاته المفردة ، فلو نظرت إليه كصفات إفرادية (الجمال – والعمر – والمكانة) ستجد في غيره من يتفوق عليه .

انظر بشـــكل كلي واترك القشـــرة الخارجية ، فلو نظر محمد لمرح وهي في الســـتين لرآها أجمل الخلق لأنه تجرد من القشـرة وعشـق " الكل " ، وأيضـا من نظر مرح لم تنظر لمحمد يوما على أنه أصغر منها ولا يهم العمر عندها .

وفي هذا القبيل تغني لنا كوكب الشـــرق في أغنيتها الشـــهيرة " أنت عمري " والتي كانت من تأليف الشـاعر أحمد شـفيق كامل وتلحين الأسـطورة محمد عبد الوهاب ، وقبل الحديث نتأمل عنوان الأغنية ، ماذا يعني أنت عمري ؟

إي أنت كلي أي أنت أنا ، فمذ عرفتك كانت ولادتي ، لم يكن لي اسم قبلك أو حياة،

وتأكد أم كلثوم ذلك حينما قالت :

اللي شفته قبل ما تشوفك عينيا *** عمري ضايع بيحسبوه الزاي عليا ؟

وتتابع أم كلثوم :

ابتديت دلوقتي بس أحب عمري *** ابتديت دلوقتي خاف لا العمر يجري

وهنا قد تجد عزيزي القارئ معنيين متناقضين !

كيف أقول أن أم كلثوم لم يكن لديها حيا

ة قبل الحبيب مع أنها قالت

(رجعوني عينيك لأيامي الي راحوا) ؟

أقول لا بد من التفريق بين مصـــطلحي (العيش والحياة) ، العيش هو قيام الكائن بوظائفه الفيزيولوجية بينما الحياة هي تحقيق الكائن لذاته وفق هرم ماسلو .

ولقد أورد القرآن الكريم المعنى بالتفصيل حينما قال :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ)

(الأنفال: 24)

فالمسلمون كانوا أحياء قبل الإسلام فلماذا يقول يحييكم ؟ ، لأنهم كانوا يعيشون ولم يكونوا يحييون فأخذ يدعوهم كي يستجيبوا للرسول ليحييهم ويحقق آمالهم ويخرجهم من البداوة إلى السيادة .

وهذا بالضبط حال أم كلثوم وقد وصفت ذلك بقولها :

يا حياة قلبي يا أغلى من حياتي ، فأنت يا حبيبي من جعلني أحيا ، فلا تحتسب عمري كما يحتســـبه الآخرون 28 ـ 29 ـ لا يهم ـ منذ عرفتك بدأت حياتي ، وبدأت أخاف فعلا من عمري الحقيقي أن يجري وينتهي بينما أكون بعدي طفلة بين يديك .

تعليق خارج النص : لكي لا يذوب الحب بالحب ، ولأن ذكر أم كلثوم عند القراء كذكر مرح عندي أحببت أن أروي قصة صغيرة من وحي هذه الأغنية القديمة .

ما الذي يجمع بين أم كلثوم المصـرية، وزهافابين الإسـرائيلية، وشـاكيرا الكولومبية، وبيونسي الأميركية، والداعية الجفري؟

ربما لا شيء سوى أغنية "أنت عمري" التي كتبها أحمد شفيق كامل ولحنها محمد عبد الوهاب وغنتها أم كلثوم، وصـارت أقرب إلى "الأغنية الأسـطورة". وآخر أخبارها أن بيونسي رقصت على إيقاعها بطريقة ايروتيكية تعتبر "استفزازية" و"خليعة" بالنسبة إلى جمهور "ثومة"...

من أين نبدأ في مقاربة هذه الأغنية التي "يتناتشها" الكبار والصغار؟!

كل واحد يريدها على طريقته أو صـــورته أو لغته أو جســـده أو عقله، فهي بين الرقص الشـرقي والأجنبي وموسـيقى الميتال، بين المحافظة على أصـالتها الشـرقية وتقديمها بتوزيع جديد ومختلف، وهي أيضا بين من يقدمها مقلداً صوت ثومة أو من يؤديها بطريقة هابطة وركيكة.

والأغنية الشـــهيرة كانت حكاية من البداية، امتزجت فيها عبقرية الصـــوت بالتجديد الموسـيقي وكواليس السـياسـة، ففي سـنة 1964 تم لقاء القمتين أو "لقاء السـحاب" كما سمي، بين الموسيقار محمد عبد الوهاب والسيدة أم كلثوم في أول عمل فني هو "إنت عمري".

وانتهت بذلك عقود طويلة من المنافسة بينهما، بين الموسيقار الارستقراطي والفنانة الآتية من أصول فلاحية. جاء اللقاء بعد انكفاء الموسيقار عن الغناء في المسارح.

واقتصر نشاطه الفني على تسجيل أغانيه في الأستديو. كان لديه دائماً أغنية جديدة، ويستعد لتسجيلها، لم يكن "لقاء السحاب" لا عفوياً ولا مخططاً له.

باختصار القصة بدأت عندما زار عبد الوهاب عازف الكمان أحمد الحفناوي، وكان قادما من بيت أم كلثوم للتو، عبدالوهاب كان قد صنع لحن اغنية "أنت عمري" ليغنيه، وبعد أخذ ورد وقيل وقال، وتدخل عبد الناصر وتمنياته حصل اللقاء والتعاون وانجزت الأغنية بصوت أم كلثوم .

لاقت "إنت عمري" نجاحا منقطع النظير إلى درجة أصبحت كليشيه مملة في بعض الأحيان لكثرة الاستعمالات العشوائية.

ففي العقدين الماضيين كانت نجمة في الكثير من المقاصف والمنتجعات السياحية وبرامج الهواة بأصوات من كل حدب وصوب، أصوات جيدة وأصوات تمسخ الأغنية وتجعلها في الحضيض، وعشرات الراقصات الشرقيات رقصن على ايقاعها من صافيناز إلى آخره .

دون أن ننسَ العزف والتوزيع الجديد للأغنية الذي أتى بـ"روحيات" مختلفة، سواء فرقة "خلص" التي أدتها بطريقة الميتال، وصولا إلى نافورة دبي حيث "ترقص" المياه على أيقاع اللحن .

ووصل السطو على الأغنية إلى المنتجعات والمسارح الإسرائيلية، غنتها سيريت حداد، وزهافابين، واعتبرت الأغنية العربية الأولى التي اخترقت "الوعي الإسرائيلي" حسب ما يقوله الديبلوماسيون الإسرائيليون.

وادخلت شاكيرا "أنت عمري" في الفضاء الثقافي المعولم، استعملتها كجزء من تنويع حفلاتها، ففنها خليط من السالسا والرقص الشرقي مع صوت قوي وألحان مختلفة، وقد أصبحت ظاهرة غنائية لاتينية عالمية بجذور شرقية وعربية. لم يكن استعمال شاكيرا الأغنية الكلثومية مستفزا بل محبباً

، هو أشبه بحوارية أنماط ولغات وأداء

، أشبه بلغة أجساد على المسرح،

يجلس جمهور أم كلثوم مصغيا للصوت

هائما في مناخات الحبيب الغائب، يصغي لفضاء غير محسوس. ربما عبر عن هذا الواقع مقال إسماعيل فايد [2] "نظرية الأداء، ونظرة لأم كلثوم وويتني هيوستون"، حين قال: "لم تخترع أم كلثوم للعالم العربي مفهوم السلطنة مطلقاً، لكنّها أعادت صياغة المفهوم وطرق استقباله من قبل الجمهور وطرق قياس مدى نجاح أي مؤدي للوصول إلى السلطنة، حتى تم تفريد نوع مخصوص من السلطنة باسمها (سلطنة كلثوميّة) لأنها لا تندرج، لا من ناحية الأداء أو من الناحية الموسيقيّة، تحت طرق وأساليب السلطنة المعتادة قبلها أو في عصرها"...

شاكيرا نمط آخر مع الجمهور، هي توقظ الجمهور من "أفيونه".

سواء بصوتها أو رقصها أو موسيقاها، اختيرت لتغني في افتتاح أكثر من مونديال رياضي، تتحكم بحركات اعضاء جسدها، توقظ الخيال وهي تنظر في عيون جمهورها، هي الفاتنة التي تجعل لهز الارداف معنى مختلف، تخفف من مغناطيسيته لصالح إيقاعيته، هي مغنية لجمهور راقص أو يبحث عن ذاته.

أما المغنية بيونسي فاستعملت الأغنية في إطار فج اذا جاز التعبير، فهي اقتبست الموسيقى لا لتقدم الرقص الشرقي بل لتبدو أنها تمارس نوعا من "الخبب" (نسبة إلى خبب الحصان) الجسدي.

راقصات بأجساد ممشوقة، ومؤخرات شبه عارية، وممتلئة، يمارسن الرقص الذي يقترب من الستربتيز، بأقصى حرية وبوقع ايروتيكي يجعل من ينظر إلى الصورة أو المسرح ينسى الموسيقى.

قيل ان "أنت عمري" تتحدث عن وقوع امرأة في الحب وخوفها من الألم الذي قد يسببه لها فقدان الحبيب.

بينما اغنية "Naughty Girl" لبيونسي فهي تتحدث عن امرأة تستخدم جسدها من أجل إسعاد حبيبها.

شيء ما في غناء بيونسي ورقصها يوحي بتمزيق "أنت عمري"، تمزيق يبدأ بلغة الجسد المؤخرتية، صخب الجسد أو الأجساد يمزق الموسيقى.

اللغة البصرية تطيح باللغة السماعية، بل إن الجسد الراقص في أغنية بيونسي يتحول أسير ايقاع مؤخرته.

ولا تنتهي استعمالات "أنت عمري" عند هذا الحد، فما هو نقيض بيونسي يتمثل في الداعية الإسلامي الحبيب علي الجفري

، إذ "فاجأ" جمهوره بالقول :

إن أغنيتي "أنت عمري" و"أمل حياتي"

غنتهما ثومة حباً في النبي محمد. وقال الجفري إنه خلال تواجده في مصر وأثناء ركوبه أحدى المواصلات العامة سمع أغنية "أنت عمري" وأعجب بكلماتها بشدة لدرجة جعلته يبكي بحرقة.

وأضاف ان أحمد شفيق كامل أعترف له أنه "أنت عمري" و"أمل حياتي" كتبهما حباً في الرسول.

لا غرابة أن يقول الداعية هذا الكلام؛ هي السريالية في التعاطي مع أغنية كلاسيكية، بين تصويرها في مشهد خليع ومثير وبين اعتبارها اغنية دينية، تبقى أم كلثوم هي الأساس، مهما تناتشوا الأغنية الشهيرة.

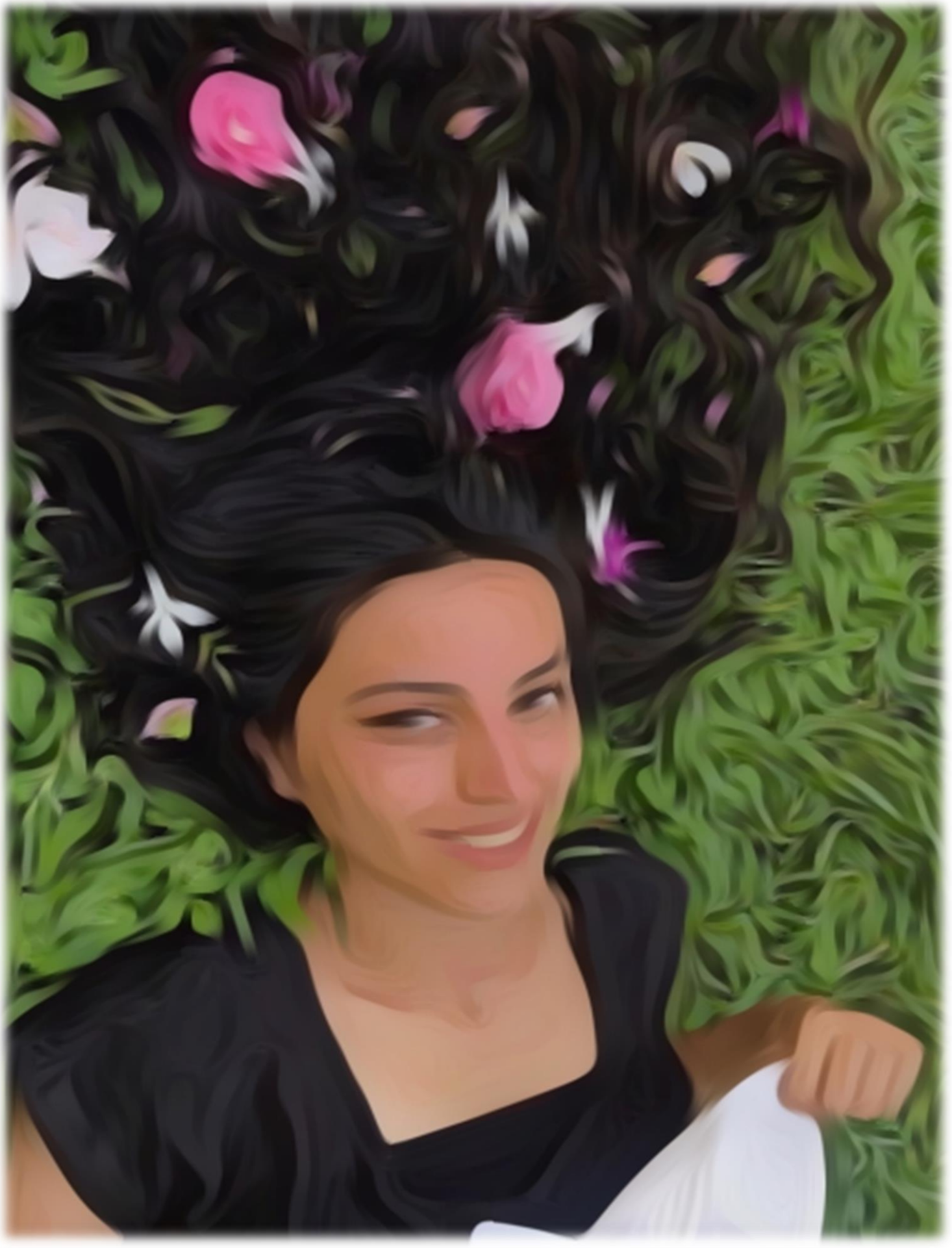

لا تعبث في الوحل

الفصل الثالث

عنوان هذا الفصل : الحبة الحمراء

القاعدة العامة : تعالي كي نعيش ولا نبالي *** بماضيكِ وما تخفي الليالي

القصة : يرحل النهار ساحباً خلفه شمسه الميتة ببطء يُثير سأم مرح المضطجعة على ظهرها فوق سرير خشبي واسع بعد نهار كامل قضتهُ في حملة تطوعية ، فأشواقها تواقة إلى رؤية سماء كبيرة سوداء مرصعة بنجوم متلألئة لا عدد لها ، وقد حاولت مرة أن تعرف عددها فمنعتها أمها قائلة: " من يعرف عدد النجوم يمت ".

وتتململ مرح تحت اللحاف الذي يغطي نصف جسمها ، وتتطلع بعينين نصف مغمضتين إلى دبٍ مصوفٍ جالسٍ على حوضهِ مادٍ ذراعيهِ إلى الأمام ببلاهة ، ومن عينيه تطل نظرةٌ ماكرة وساذجة في آن واحد .

وتتبسم مرح بسخرية إذ تتذكر كلمات حبيبها السابق حينما أهداها إياه قبل سنين : (بحبك مارح نترك بعض) ، إلا أن مرح لم تجب حينها وقامت بتركه لاحقا .

بينما تتقلب مرح من جهة لأخرى على السرير تتقلب معها الأفكار في رأسها ، وصلت علاقتها الآن مع محمد إلى مرحلة متقدمة ، " بدأت بدايات الحب " وصار ولابد أن تقرر إخباره أو السكوت أمامه عن علاقتها السابقة .

مجرد التفكير بالأمر متعب ، تريد إخباره عن شيء حصل في الماضي السحيق عن نسخة قديمة جدا ، فأخطاؤها القديمة لا تخصها ، هي تخص نسخة سابقة قديمة لها ، نسختها الحالية واعية أكثر وناضجة أكثر ، إننا نغير من أفكارنا تقريبا

كل سنة خاصة مع وجود الانترنت الذي سمح لنا بتعلم كل شيء وأيضا باكتسابنا لخبرات وصدمات جديدة !

إنه تخوف مبرر ، فإخبار شاب شرقي عن علاقة سابقة لحبيبته هي انتحار ! ، إذ نادراً ما يتقبله بصدر رحب وإن تقبل فـ لفترة وجيزة (حتى انتهاء البدايات) ثم ما إن يكشر عن الأنياب الشرقية والنوازع القبلية فيعير الفتاة بماضيها أو يتخذه شماعة تبرر أخطائه معها فتكون الفتاة عاشت الماضي بماضيين ماضيها الأصلي وماضيها المستمر الحالي .

أو أن يرفض الشاب منذ البداية إكمال العلاقة ، فالمجتمع عندنا لا يفهم أن الأنسان يغير أفكاره ويصحح أخطائه إنهم سريعو الحكم بطيئو النسيان ، ولكن في هذا النموذج يكون الشاب أكثر شهامة على الأقل من النموذج الأول .

ولقد أطعمت مرح لحمها وأحلامها لغراب أسود ، حوم فوقها في سنين شمسها باردة كئيبة ، وقفت مرح وتناولت سيجارة من دخان والدها وأشعلتها ، إنها ثاني مرة تدخن فيها بعد مرة التجربة الأولى .

تفتح مرح الشبابيك – حتى لا يتمسك الدخان بستائر الغرفة – وتنظر إطلالتها الجبلية الخلابة ، تتخيل المدينة الأفلاطونية .

مدينة خضراء تسافر إليها الشمس ناعمة الضوء خفيفة الحرارة وسماء زرقاء وعصافير تبحث عن ربيع لا يرحل وأصداء أجراس عذبة الإيقاع وأبنية حجرية بيضاء تزهو بسكانها المصنوعين من القطن المضغوط .

تعرج الأنهر عبر الأزقة الضيقة وبين المنازل الحجرية ، إذ امتزجت مع أوراق الكرز الزهري .

وإحدى هذه النقاط التخيلية مقهى صغير صنع من خشب داكن يجلس فيه شاب يدعى محمد ، ولكن سرعان ما تغير الاسم مع بقاء نفس الشخص وتختار له اسم " روسوف " ، تحاول التغيير فيه تدريجياً فأولاً تغير لون عينيه إلى الأخضر فمحمد ذو عينين بنيتين داكنتين .

وتغير قوامه فتجعله طويلاً ومشدوداً أكثر .. الآن اكتمل المظهر ، تجلس معه وما إن تبدأ بالحديث عن ماضيها إذ يقاطعها ويقول : " أحب تجاربك العاطفية التي مررتِ بها قبلي لتجعلك معي مضيئة ، فلا تخبريني عن شيء "

وبعثَ هذا الكلام في أعماق مرح فرحاً باهراً غريباً يحمل في جوفه غليانا في الأعين قد ينفجر ويتحول إلى قُبَلٍ تزرعها في شفاه روسوف في أية لحظة .

تمسكت بيديه وكان جسدها مسترخياً تحت الثياب ناضجاً كنبيذٍ هَرِم نَسيَ يوم ولادته ، كان جسدها آنئذٍ بحراً هائجاً أمواجه فضية يضرب مجاديف الصياد وقواربهم بلا رحمة .

وحولها في المقهى أناس بلا وجوه ومشروبات ليست أرضية ، واندفع فجأة إلى مخيلة مرح وجه أمها .

وخيل إليها داخل الخيال أنها تسمع صوتها الحاد يردد كعادته : (مرح .. وينك) وبدأ الناس في المقهى يختفون تباعاً واختفى المقهى واختفى روسوف بعد ابتسامة أخيرة ، ذات الابتسامة التي تودع بها أحلامك .

استيقظت مرح لتجد أمها خلف الباب ورماد السيجارة متماسك على الصحن آخذاً شكل السيجارة التي لم تُدَخَن . استوعبتْ مرح أنها كانت تتخيل وأن محمد رجل شرقي وليس أفلاطوني وعيناه سوداء وليستا خضراء .

وتعود مرة أخرى لتبحث بين خياراتها المتاحة إما الإخبار أو السكوت ، وحتى ولو سكتت فمجتمعنا ذكي جدا في التحري ومخابراتنا أقوى المخابرات ، سيجد الكارهون طريقاً لمحمد ليخبروه وحينها سيقول الشماعة الشهيرة : (لو عرفت منك كان أفضل مما أعرف من غيرك) .

معظم الآراء في مجتمعنا القاسي ترى أن الماضي يقلب حياة الحبيبين رأسا على عقب، إما تدريجيا أو جملة وتفصيلا، ويضعها على نار هادئة من الشكوك والوساوس التي لن يجني منها أي من الحبيبين إلا الألم والوهم والدمار والغيرة المفرطة.

و"الحب الهش" الذي ينهار مع أول خلاف بسيط، ذلك لأن العادات والأعراف السائدة ترى الرذيلة في المرأة ولا تراها في الرجل، والملاحظ أن معظم الرجال يعتبرون كل ما يتعلق بماضيهم وحياتهم الشخصية هي ملك لهم فقط .

وفي ذات الوقت يرون أن من حقهم التعرف على تفاصيل ماضي نسائهن، وكلما امتنع الزوج عن البوح بأسراره يشدد على التحقيق والتحري في ماضي حبيبته أو خطيبته.

وليس من المبالغة في شيء أن الشك والوهم يظل لصيقا بالرجل، حتى ولو تزوج من امرأة بدون ماض، أو من مراهقة في الخامسة عشر من عمرها، أو حتى لو ارتبط بحبيبته منذ الطفولة.

فالشك هنا لا يؤدي إلا إلى مزيد من الشك طالما أن مجتمعنا لا يحاسب الرجل بقدر ما يحاسب المرأة التي غالبا ما يكون الرجل سببا في مغامراتها العاطفية.

والمرأة التي غالبا ما لا تلوم الرجل على ماضيه هي عكس الرجل، الذي ما إن يختار شريكة حياته حتى يبدأ في البحث والتنقيب عن الصغيرة والكبيرة في تفاصيل

ماضـيها، وكم تتعرض العلاقة لهزات ارتدادية لمّا يعلم الرجل أن حبيبته كانت على علاقة عاطفية مع شـخص في الماضـي، فهناك نسـاء بمجرد ما يسـردن لأحبابهن ماضـيهن من باب تقديم البرهان على حبهن لهم ، ومصـارحتهم بجميع التفاصـيل والأسرار عن حياتهن.

يتحول ذلك بمثابة رياح مطفأة لسراج الثقة والعقل، وكل حركة تقوم بها يعتبرها حنينا إلى هذا الماضي، حيث يتفجر الشك والسؤال حول الماضي سيلا جارفا للحاضر.

وأحيانا يصـبح ذلك الماضـي تهمة ثابتة وذنبا لا يغتفر، ويصـبح سـرد هذه الذكريات وكشـف بعض تفاصـيلها لشـريك الحياة سـببا في تحويل هذه الحياة إلى جحيم لا يطاق.

فكلما سكنا إلى بعضهما تحرك شريط الذكريات ليعكر صفو اللحظة، ويولد الشعور بالنفور حتى الغثيان، وبدل أن يكون الحب بداية جديدة متحررة من ضـغط الماضـي، يصبح الماضي شبحا مخيفا يسمم حياة الحبيبين بالشك والريبة والوساوس.

وكلما كان الحب أقوى وكانت العلاقة مدتها أطول فهذا يؤدي إلى صـدمة أكبر، قد تفوق خيبة الأمل لتصل عند بعض الأشخاص إلى الإحباط .

فالشـــاب العربي أخذ من الأفكار الغربية فكرة الجنس ما قبل الزواج واعتنقها ولم تصـله بعد فكرة أن ماضـي الفتاة يخصـها وحدها ، ويرجع ذلك لحب الرجل الشـرقي للسيطرة وتملك المرأة والذي عززه فيه الدين والمجتمع .

وفي هذا القبيل يقول نزار قباني في قصيدة غناها القيصر :

أتحبني . بعد الذي كانا؟

إني أحبك رغم ما كانا

ماضيكَ لا أنوي إثارته

حسبي بأنك ها هنا الآنا

تتبسمين وتمسكين يدي

فيعود شكي فيك إيمانا

عن أمس . لا تتكلمي أبداً

وتألقي شعراً وأجفانا

أخطاؤك الصغرى أمر بها

وأحول الأشواك ريحانا

تقرر مرح أخيراً ، ستتحدث وليكن ما يكن !

يســتمع محمد عاقلاً أدب الحوار مســتخدماً كلمات رقيقة تهون الأمر على مســامع مرح التي يغرقها الخزي من عقبها حتى يافوخها قائلا : لا بأس حبيبتي فمثل هذا يكون ! بل ومن الطبيعي أن يحصل بين العشاق .

تســـكت مرح مندهشـــة من كلامه كأنه بالضـــبط الرجل الذي تخيلته في المقهى الأفلاطوني إلا أنه بعيون سوداء .

لكن عزيزي لا تحتسب ردة الفعل هذه فضيلة ! ، فقد أسلفنا سابقاً أن الرجل قد لا يظهر أثر ذلك فيه حتى انتهاء فترة البدايات ، لكن الاحتمال الأخطر من ذلك والذي هو شـــائع أكثر أن الرجل قد يرى في الفتاة مشـــروعاً جنســـياً كاملاً مدفوع الثمن ! فحينما تخبره الفتاة يشـــتهي أن يكون هو التالي ويعتبر إخبارها له بمثابة ضـــوء

أخضـــر ، وأقول مدفوع الثمن لأن الفتاة تتحول بنظره المريض إلى عاهرة متاحة جنسياً ، عاهرة ثمنها الوقت والاهتمام وكلام الحب الزائف بدلاً من النقود .

نتابع في القصة ونتخطى حتى نصل إلى ردة الفعل النهائية المتعلقة بماضي مرح والتي أكتبها وكلي خزي وعار واحتقار أنني جانيها ، غفر الله لي وغفرت مرح .

لم يكن محمد إلا نسـخة شـرقية ولم تكن شـرقية عادية بل شـرقية وقحة فنبش الصـغيرة والكبيرة بحياة مرح وتكلم مع حبيبها السـابق بكل صـفاقة حتى يتأكد من التفاصيل وتواريخ التفاصيل .

ولم يكتفِ هنا بل أخذ يعير مرح بقصـصـها ويسـتخدمها في المزاح والجدية وفي كل فرصـة سـانحة ، ليته كان شـرقياً عادياً إنه شـرقي سـافل منافق ، ينبش الماضـي وأحداثه ويرفضه ومع ذلك يريد للعلاقة الاستمرار ويدعي التقبل والانفتاح ! .

مع مرور الوقت وتتالي الأحداث المتعلقة بماضي مرح والتي لو استمرت العلاقة وقتاً لنبش نوع حفاضات مرح في الطفولة هل هي بومبي أم بيبي جوي .

أصبح ولا بد من انهاء العلاقة لمرح رغم حبها الشـديد لمحمد وتعلقها به ، لكنها بوجوده تعيش زمن الماضي المستمر .

ربما لم تفهم مرح درس الماضي المستمر في حصة اللغة الإنكليزية لذا قرر محمد تعليمها وتعليمنا أيضاً ولكن بطريقته .

رباعيات مرح ٣

(١)

تعالــي كي نعيـش ولا نبالي

بماضيــكِ وما تخفي الليالـي

فمـر العيــش يحلو بالوصال

وليس السعد من نسج الخيال

تعــالي ننهـب اللـذات نهبا

ونشرب من رحيق الثغر نخبا

إلى أن نســكر الأيــام حبا

فيحيــا عيشنا ويظل خصبا

تعــالي ثم ضميـني إليك

ولفي حول ظهري ساعديك

وشدي فوق صدري ناهديك

وزيدي من ترهس رجرجيك ٤

فتندفع الدماء إلى عـروقي

وأسكر دون جزع من رحيقي

وأبلغ نشـوة الحب الحقيقي

ولا يبقى شقاء في طريقي

وما أقسى الحياةَ مع الفراقِ

وما أحلى التلاحم بالعناق

فإني لست أرضى بالعتاق

إلى أن تبلغ الروح التراقي

(2)

رأيت الحبيبة بعد السنون

ويا ليت ما نظرتها العيون

فوجه عليه رسوم الجنون

شبيه بثوب بدرب الجرون

أأنت التي اشتهرت بالبهار ؟

وكان سناها يضيء النهار

أأنت التي شغلت بقلبي القرار

طوال الفراق وبعد المزار

أأنت التي كنتِ أحلى الورود

يضمخ عطرك هذا الوجود

فأين الشذا ورهيف القدود

وأين اختفت جامحات النهود ؟

وأين اللآلئ والأرجوان

بثغر بديع يثير العيان ؟

وأين اشتياقك والعنفوان

أهذا الجمال طواه الزمان ؟

أراك وترحمني الذكريات

أأنت التي كنت أبهى فتاة

جميع النساء لها حاسدات

فكيف انقلبت لهذا الرفات ؟

(٣)

يامن يفوق بميسه الغصن النضير

لا تبعدن فإن قلبي في سعير

لا يستطيع تحمل الشوق الكثير

جنب فؤادي والهوى سوء المصير

فأنا بدونك طائر يخشى الرياح

ينأى بغير إرادة رغم الكفاح

فالريح عاتية ولن يقوى الجناح

حملي إليك وفيه أثلام الجراح

هل تذكرين لقائنا عند الأصيل

والشمس ألقت شعاعها فوق النخيل

وكأنه دمع على خد يسيل

لما رأيتك مثل كنز للبخيل

لا يستطيع فراقه مهما جرى

يخشى عليه من الزمان أو الورى

وأنا كذلك غير وجهك لا أرى

كنزاً لأيامي وطيفاً في الكرى

(٦)

أنت التي علمتني معنى الحياة

نورت أيامي بأحلى الأمنيات

حتى غدا عمري جناناً وارفات

في ظلها عشنا ألذ الذكريات

أنت بيتي أنت أوطاني

أنت أفراحي وأحزاني

أنت حبي أنت إيماني

أنت عندي كل إنسان

وما أحببت مثلك في حياتي

فأنت حللت في جسدي وذاتي

فبدونك لم تبدأ ذكرياتي

ولم تعرف ولم تظهر صفاتي

(5)

لولاك لم أنعم بأنسام الورود

لولاك لم أطرب لناي أو لعود

لولاك لم أسعد بأغاني الجدود

لولاك لم أشعر بأني في الوجود

في سنا عينيك قد لاقيت ذاتي

إن ورد الثغر أوحى كلماتي

كم غدا شعرك ذكرا لصلاتي

وصفاء الوجه كم أنقى حياتي

لو كنت باقية في عالم العدمِ

حولت خلقــك إيلاداً بلا رحــمِ

وصغت جسمك كالنحات للصنمِ

أجريت فيه حياة من هدير دمي

(6)

أحبك حب الفراش الزهـور

وحب الخمائل نشر العطور

وحب الصباح لشدو الطيور

وحب الخلائق عيش الدهور

وحبي عميق كعمق البحـور

وفيه ارتفاع لمثوى النهـور

وفيه امتداد ليوم النشـــور

وفيه اشتياق يفوق الشعور

إذا احتكر الليل أنت البدور

فوجهك دوماً لعيني نور

يقوي فؤادي لكي لا يخور

ويبعد عني الأذى والشرور

حياتي إذا رحت أضحت فتور

وعمري غدا موحشا كالقبور

وفارق قلبي الهنا والسرور

فبعدك عني أجل الأمـــور

الشـــرح : بداية يجب أن تميز عزيزي القارئ بين الفتاة صـــاحبة الماضـــي العادي التي شـــأنها شـــأن الفتيات الأخريات وهذا أصـــبح طبيعياً في المجتمع ، وبين الفتاة المســـتهلكة عاطفياً والتي تأتي إليك حتى تتقاعد عندك وتحقق غريزة الأمومة وتهرب من شـبح العنوسـة بعد ما قضـت السـنين والأيام وفعلت السـبعة وذمتها ، وهذه بالذات هي موضوع شرحنا هذا.

يجب أن تفهم اســتراتيجية التزاوج عند المرأة ، تعتمد اســتراتيجية التزاوج عند المرأة على عنصرين أساسيين و لا يُمكنها أن ترتبط بذكر لا يوفر لها أحد العناصر :

1-الأمان المالي و الموارد التي يوفرها الرجل لرعايتها خصـوصـا أثناء فترة الحمل و الولادة و تربية الأطفال الذين يحتاجون الموارد التي تُساعد الأم أثناء التربية

2-تحسين جينات أولادها باختيار أجود أنواع الذكور الألفا ذوي القوة و الشـخصـية و الذكاء ليحميها من المخاطر أثناء الحمل و الرضـاعة و تحصـل منه على صـفات وراثية قوية تعطي أولادها فرص أكبر للبقاء و بالتالي حمايتها مستقبلا في مرحلة الشيخوخة

3-الأمان المالي يوفره الذكور البيتا و هم الغالبية في المجتمعات

4-تحســين جينات أولادها و الحماية من مخاطر البيئة يوفره الرجال الألفا الأقوياء جسمانيا و الأذكياء عقليا

5-الرجل البيتا يوفر المال و الحب للمرأة لكنه غريزيا لا يُمكنه أن يشارك الأنثى جينات قوية تحميها من مخاطر البيئة مســتقبلا اذا شــاخت و هرمت فبالتالي يُشــكل البيتا خطورة على بقائها و بقاء أطفالها لأنهم لن يمتلكوا صـــفات قوية تحميهم من البيئة

الرجل الألفا : قوي الشخصية ، صلب ، ذكي ، طموح ، جذاب قائد بالفطرة مفتول العضلات الخ .

قد لا يغدق الألفا على المرأة المال كالبيتا ، لعدم حاجته إلى تأكيدات على قيمته الجنسية لأنه فارس الأحلام الذي تنتظره كل النساء .

دور الألفا في المجتمع هو فتح القوارير و الاستغلال الجنسي لهن، فهو يدفع موارد أقل و يحصل على الجنس بكمية أكبر و البيتا يدفع موارد أكثر و يحصل على جنس أقل و فرصة تزاوج أقل .

الرجال البيتا في المجتمع هم السواد الأعظم الذين يجتهدون لإسعاد المرأة لكنها غريزيا لا تشعر معهم بالأمان ويشكلون خطرا على بقائها .

الرجل الألفا غريزيا قليل الالتزام و يحصل على الجنس أكثر لأنه طموح كل النساء ، الرجل البيتا كثير الالتزام ماليا وعقليا لكنه يحصل على الجنس بصورة أقل و لا يوافق المعايير الأنثوية .

كيف تفرق النساء بين البيتا و الألفا؟

- الضمان: اذا ضمنتك فهي تشعر بشكل غريزي انك رجل منخفض القيمة ، و لا تملك فرص و هي تريد رجل عالي القيمة بغريزتها .
- عقلية الوفرة و الندرة:

اذا اشعرتها بأنها جوهرة نادرة غير قابلة للاستبدال باي أنثى أخرى ستشعر انها كثيرة عليك بشكل تلقائي و تبحث عن شخص يستطيع استبدالها لأنها ستشعر بأنه عالي القيمة بينما انت قيمتك منخفضة لدرجة انك لا تستطيع الحصول على أنثى

مثلها ، هي لا تفهم انك تحبها ولا تملك تلك المفاهيم الهرمونية كما تفعل انت، فالحب لديها مختلف تماما.

- قلق المنافسة:

هي تقول انها تحترم الرجل الذي يحب و لا يخونها ابدا و من ثم ستمارس الجنس مع رجل يخونها لسبب بسيط و واضح، تشعر انه كثير عليها و من الطبيعي أن يخونها و اذا لم تشعر الأنثى التي معك انك تستطيع استبدالها او ان يكون لديها إناث اخريات لجانبها كما قلت ستشعر بأنك منخفض القيمة و تذهب لمن بشعرها بهذا النوع من القلق.

كل ما سبق ليست فلسفتي الخاصة وإنما فلسفة الحبة الحمراء والتي هي عنوان هذا الفصل .

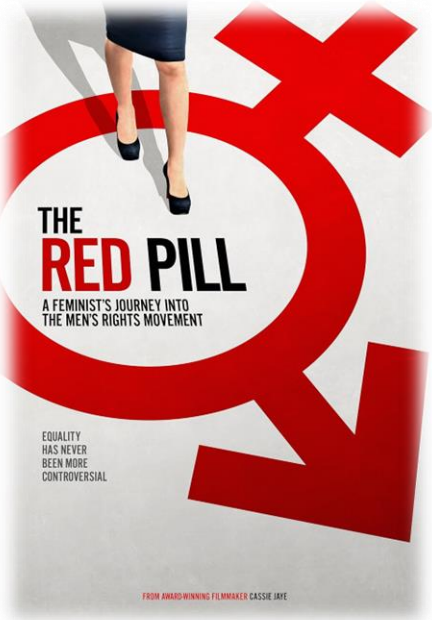

ماهو مصطلح الحبة الحمراء ؟

«الريد بيل» أو «الحبة الحمراء» (Red pill)، و هي حركة ظهرت سنة 2012 على موقع ريديت (Reddit)، و تم تبنيها على نطاق أوسع من قبل مجموعات اليمين البديل و المتفوقين البيض و جماعات المانوسفير (Manosphere).

يرى مُنتسبو الحركة أنها ردة فعل طبيعية على «التوغل النسوي» في المجتمع الغربي، إذ جاءت لتوعية الرجال بخطورة الأفكار النسوية، وشرح طبيعة العلاقة بين الرجل والمرأة، حيث تُسلّط الضوء على القوانين المُجحفة بحق الرجل في مؤسسة

الزواج، كما تسعى لمُحاربة الأفكار التي يُروّج لها «الإعلام اليساري الليبرالي» القائم على النسوية، من تكريس لمظلومية المرأة و شيطنة للرجل.

يرى المُناصرون أن فلسفة الحركة ليست ضد فكرة الزواج لذاتها، و إنّما ضد القوانين المُتحيّزة ضد الرجال، حيث أصبح الرجل – وفق وصفهم – مجرد (ماكنة صراف آلي)، و طرف خاسر في قضايا الطلاق و الحضانة و النفقة و غيرها.

أمّا تيار «الميغتاو» (MGTOW، أي الرجال الماضون في طريقهم الخاص)، فهو يشترك مع الريد بيل في مُناهضة النسوية، و المركزية الأنثوية (Gynocentrism) التي اعتُبرت قائمة على كره الرجال (Misandry). لكن يختلف في مسألة دعوته إلى تجنّب أي علاقة مع النساء، و اعتزال المجتمع الذي أفسدته النسوية.

اكتسبت الحركة شعبية على مواقع التواصل الاجتماعي، و خصّص لها المهتمون مدونات و صفحات و مجموعات، و قنوات على «يوتيوب»، للتعريف بأفكارها، و لتبادل الخبرات و النصائح بين الأعضاء. و قد أصبحت لهذه الحركة أصداء داخل المتجمع الافتراضي العربي أيضاً، فأنشئت عنها صفحات و مجموعات، تعريفاً بهاً و نشراً لأفكارها.

أصل التسمية: شعار «الحبة الحمراء» مستوحى من فيلم المصفوفة (The Matrix) الشهير، حيث يُعرض على البطل «نيو» الاختيار بين حبّتين، إحداهما حمراء و الأخرى زرقاء، فالحمراء تُريه الحقيقة الغائبة عنه أما الزرقاء فتُبقيه في الوهم الذي هو عليه يعني

«أخذ الحبة الحمراء» أن الرجل قد فتح عينيه على «حقيقة المرأة»، و طبيعة العلاقة معها، أمّا أصحاب الحبة الزرقاء (blue pill) فهم «المُغيّبون عن الحقيقة»، المُناصرون للأفكار النّسوية، التي تسرّبت إليهم عبر الإعلام الموجّه و الأعمال الأدبية و الفنية المُروّجة لها.

تُطلَق على هذه الفئة عدة تسميات بقصد التشنيع و السخرية، كوسمهم بالدياثة و الانبطاح، بسبب لُطفهم و تودّدهم المبالغ فيه تجاه النساء، و استعدادهم للتنازل عن كرامتهم في سبيل الحصول على علاقة أو اهتمام.

و لعلّ أشهر تسمية متداولة، كلمة «سيمب» (simp)، و هي مأخوذة من الكلمة الإنجليزية (simpleton) التي تعني «مغفل». و هناك عبارات تحقيرية أخرى يوصفون بها مثل (Beta Male، nice guy، pathetic weasel، White Knight…).

فيلم «الحبة الحمراء» : في سنة 2016 صدر فيلم وثائقي بعنوان الحبة الحمراء (Red Pill)، من إنتاج وإخراج ناشطة نسوية سابقة، حيث يعرض الفيلم رحلتها من النسوية حتى انشقاقها عنها و تحولها لما يسمى «بمناصرة حقوق الرجال».

أثار الفيلم جدلاً حين عرضه، و قد ساهم في زيادة انتشار فلسفة «الريد بيل» في الغرب.

و علاقة بالنساء المُناهضات للنسوية في الغرب، يستشهد «الريد بيلز» (Red Pillers) بمجموعة من النماذج في هذا الصدد، مثل الأمريكية «هيلين سميث» (Helen Smith) في كتابها «الرجال في إضراب» (Men on Strike)، التي اعتبرت فيه أنّ الحركات النسوية أدّت إلى مقاطعة الرجال للزواج، و اكتفائهم بعلاقات خارج إطاره، وذلك بسبب الهجوم على «الصفات الذكورية» بدعوى أنها ذكورية سامّة (Toxic masculinity).

كما نجد الأمريكية «كريستينا هوف سومرز» (Christina Hoff Sommers) في كتابها « الحرب ضـــد الأولاد» (The War Against Boys) تتحدث فيه عن تفضـــيل البنات على الأولاد في المدارس، و آثار ذلك على مستقبلهم.

و يُشار أيضاً إلى الألمانية «إستير فيلار» (Esther Vilar) في كتابها (The Manipulated Man) التي عرضت فيه لكيفية تلاعب النساء بالرجال. و الألمانية «إيفا هيرمان» (Eva Herman) في كتابها «مبدأ حواء : من أجل أنوثة جديدة» (Das Eva–Prinzip: für eine neue Weiblichkeit)، التي دعـت فيـه المرأة للعودة إلى البيـت، و الاهتمـام بأطفالها وأسرتها، حيث تقول: «إن الحركة النسـوية سـلبت النسـاء أنوثتهن، وإن ما دعت إليه لم يكن في صالح النساء، وإنه ينبغي أن يعاد الاعتبار إلى الأم وربة البيت، وأن يخرج المجتمع من تلك المعارك «الوهمية» بين النساء و الرجال».

نجد أيضاً الكاتبة الفرنسية «إليزابيث ليفي» (Élisabeth Lévy) التي تشغل مديرة تحرير صـــحيفة (Causeur)، حيث عنونت العدد الصـــادر بتاريخ 8 يوليو (تموز) 2015 بعنوان «الإرهاب النســـوي» (la terreur féministe)، هاجمت فيه أفكار ما ســـُمّي «بالحركة النسوية الجديدة»، و في وصفها لهذه الحركة اعتبرت ليفي أنّهنّ «لن يكُنّ راضيات إلّا عندما يكون الرجال نساءً مثل الأُخريات، و عندما يستأصلن فكرة الذكورة نفسها».

نلاحظ أن حركة الحبة الحمراء الذكورية ظهرت كردة فعل على الحركة النســـوية ، التي ظهرت هي الأخرى أيضاً كردة فعل على الذكورية . إننا ندور بحلقة مفرغة بين الحركتين .

ولكن لننظر للموضوع بشمولية أكبر ولفهم الغاية والمقصود وأي الحركتين أصح فلنتعرف على النسوية أولاً ، وسأعرفها بناء على تطبيقها لأفكارها الحقيقة وليس

كما عرفت به نفسها ، فالماسونية عرفت نفسها على أنها جمعية البنائين الأحرار وكلنا نعلم ما طبقته في الحقيقة .

النِسْوية (بالإنجليزية: Feminism) هي مجموعة من الحركات الاجتماعية والسياسية والأيديولوجيات التي تهدف إلى تعريف وتأسيس المساواة السياسية والاقتصادية والشخصية والاجتماعية بين الجنسين.

تتبنى النسوية موقف أن المجتمعات تعطي الأولوية للذكور، وأن النساء يعاملن بشكلٍ غير عادل في هذه المجتمعات. تشمل محاولات تغيير ذلك محاربة الصورة النمطية الجنسية وإنشاء فرص ونتائج تعليمية ومهنية وشخصية للمرأة مساوية للرجل.

- النسوية في العالم العربي :

مر مصطلح النسوية في العالم العربي بثلاث فترات حسب الباحثة سامية العنزي. تشمل الفترة الأولى الفترة بين عامي 1860 و1920، حيث ظهر مصطلح النّسوية بشكل ضمني في مصر لدى مناضلات تحرير المرأة. وفيها انبثق ما يُعرف بالنسوية المتوارية (بالإنجليزية: Invisible Feminism) في المجتمع العربي. تشمل الفترة الثانية أواخر العشرينات حتى نهاية ستينات القرن العشرين، إذ برزت حركة نسوية أهلية منظمة في بعض الدول العربية. ولكن بدأت البلدان العربية في كبح جماح الحركة دون القضاء على استقلاليتها أو المساس بعضواتها بداية عام 1950 وحتى الستينات. تشمل الفترة الثالثة منذ بداية سبعينات القرن العشرين وحتى الوقت الحاضر، حيث شهدت إعادة انبعاث النشاط النسوي في بعض الدول العربية. وعليه، يعتبر أواخر القرن العشرين المؤشر الزمني لقيام نسوية عربية منظّرة ومؤطرة ومحلّلة لقضايا المرأة.

في حين قسمت الباحثة فاطمة حافظ المراحلَ التي مرَّ بها الحراك النسوي إلى أربعة مراحل.

تمتد المرحلة الأولى التي اعتبرتها مرحلة نهضوية من أوائل القرن العشرين وحتى ثلاثينياته؛ وركزت هذه الحقبة على مطالب اجتماعية كحق النساء في التعليم والعمل إضافة إلى بعض القضايا المرتبطة بها كالحجاب والضوابط التي يمكن أن تحكم خروج المرأة وطبيعة الدوائر التي يمكن أن تشتغل فيها.

تمتد المرحلة الثانية بين الأربعينات والخمسينيات وفيها ترسخ حق النساء في التعليم والعمل ولم يعودا مطروحين للنقاش، وقد تجاوز الخطاب النسوي في هذه المرحلة المطالب الاجتماعية إلى الحقوق السياسية.

حيث انخرطت النساء في حركات التحرر الوطنية آنذاك في فلسطين ومصر والمغرب.

تعتبر المرحلة الثالثة مرحلة صعود الدولة القومية وفيها امتلكت الدولة ناصية العمل النسوي وأخضعت كل التنظيمات النسوية تحت سلطتها، وأقدمت الدول العربية على تقنين أوضاع النساء عبر إصدارها قوانين الأسرة وقوانين العمل.

تمتد المرحلة الرابعة من ثمانيات القرن العشرين حتى الوقت الحاضر، وهي مرحلة انسحاب الدولة وبروز سلطة العولمة حيث شهدت في بدايتها أغلب البلدان العربية صحوة إسلامية كرد فعل على عملية التحديث على النسق الغربي التي انتهجتها الدول.

وقد أفرزت الصحوة بدورها حركة نسوية إسلامية تشكل من نساء الطبقة الوسطى وقد عبرت هذه الحركة عن ذاتها في شكل عودة موسعة لارتداء الحجاب وتأسيس جمعيات نسائية على أسس ومرجعيات إسلامية وانخراط في التيارات والأحزاب

الإسلامية القائمة ومشاركة النساء في الترشح على قوائمها الانتخابية واحتلالهن مراكز متقدمة في هياكلها التنظيمية.

يعتبر قاسم أمين أب النسوية العربية إذ وُلِدت مع كتابه «تحرير المرأة» أولى مظاهر الحركة النسوية الداعية إلى تحرير المرأة. كما كتب كتابا آخرا اسمه «المرأة الجديدة». كما دعا قاسم أمين لتحرير المرأة من الإسلام؛ ويَعُدّ ذلك دعوة أصيلة تنطلق من الدين للتسوية في الحقوق بين الجنسين. كما نبتت بذور النسوية وأهدافها على يديه أيضا؛ إذ دعا إلى التسوية في الحقوق بين الجنسين وألح على ضرورة تعليم المرأة ولو بالحد الأدنى للتعليم لتحقق شروط إنسانيتها كما يرى. وقد طالب أمين بوضع الطلاق في يد القضاء منعًا لتعسف الزوج في إيقاعه. في حين رأى أن تعدد الزوجات احتقار شديد للمرأة.

بعد الحركة التي قامت بها هدى شعراوي وتأسيسها للاتحاد النسائي العام في مصر، بدأت تستشري الجمعيات والمنظمات النسائية المدعومة غربياً والتي عملت في كل مجتمع وقُطر عربي بأهداف تتقاطع وتفترق وشعارات تجد صدى أحيانا ولاتجد يضيع صدى أحيانا أخرى. واستلمت هدى شعراوي من قاسم أمين الحراك النسوي؛ حيث أقنعت الجامعة المصرية عام 1908 بتخصيص قاعة للمحاضرات النسوية. كما أنها دعت إلى خلع غطاء الوجه على غير المألوف في ذلك العصر. وأسست «الاتحاد النسائي المصري» عام 1923. وفي عام 1966 أصبح اسمه «جمعية هدى شعراوي». وكانت شعراوي عضواً في «الاتحاد النسائي العربي».

وبعدها بدأت المنظمات والجمعيات النسوية تتأسس في الوطن العربي في كل بلد على حدة؛ ففي الأردن تأسس «اتحاد المرأة الأردنية» عام 1945. بهدف التصدي لأي شكل من أشكال التمييز ضد المرأة. وتعزيز مكانة المرأة الأردنية ودورها في

المجتمع، وتمكينها من ممارسة حقوقها. وفي عام 1953 تأسس «نادي البحرين للسيدات» برئاسة الليدي مارجوري بلغريف، زوجة المستشار البريطاني تشارلز بلغريف، التي اختارت نخبة من سيدات الطبقات العليا المتعلمات أعضاء في النادي الذي هدف إلى القيام بالأعمال الخيرية ومساعدة الفقراء والمحتاجين وتعليم النساء بعض المهارات كالطبخ والخياطة. وتأسس «الاتحاد الوطني للمرأة التونسية» في تونس في عام 1956.

واقع المرأة في العالم العربي :

تشير عديد الدراسات إلى أن المرأة العربية تواجه عديد المشاكل ومستويات مرتفعة من العنف. بينت دراسة على 2000 سيدة في مدينة الأحساء في المملكة العربية السعودية أن نسبة المتعرضات للعنف من أفراد الأسرة كانت 11%.

كما أن 32% من الرجال استخدموا العنف ضد زوجاتهم بسبب سوء تصرفاتهن. في حين يتحدث مكتب الأمم المتحدة للمرأة بالمغرب عن 2.4 مليون امرأة مغربية تتعرض للتعنيف والتحرش في الأماكن العامة، مما دفع المكتب الأممي إلى إطلاق حملة لمناهضة العنف ضد النساء في المغرب تحت شعار «مناهضة العنف ضد النساء في الأماكن العامة». وحسب صحيفة النهار اللبنانية فإن عدد النساء اللواتي يبلغنَ عن تعرضهن لعنف جسدي أو اقتصادي أو جنسي أو معنوي ويطلبن الحماية ارتفع من 290 حالة في العام 2014 إلى 725 في سنة 2015.

ولا يبعد الواقع التعليمي للمرأة العربية عن واقع التحرش والعنف؛ حيث أصدرت منظمة المرأة العربية بيانا تحدثت فيه عن بيانات منظمة اليونسكو التي تشير إلى أن نسبة الأمية وصلت في الوطن العربي إلى نحو 30%، وهي ترتفع بين النساء إلى

نحو 50%، وهي أعلى نسبة للأمية موجودة في عدة بلدان على رأسها: العراق والسودان ومصر واليمن والمغرب.

ومع ذلك ترى الباحثة سوزان إبراهيم أنه من المجحف حقيقة إغفال ما حققته الدعوات النسوية على بعض المستويات مما يتعلق بإسهامات المرأة المثقفة في تغيير النظرة إلى تعليم المرأة مبكراً في بعض المجتمعات العربية، إضافة إلى تغير في النظر إلى قضايا مرتبطة بالمرأة كخروجها إلى العمل ومشاركتها في الحياة السياسية.

واقع الحركة النسوية في العالم العربي :

يوجد اتجاهان رئيسيان للنسوية في العالم العربي «النسوية الإصلاحية» (أو النسوية الإسلامية) و «النسوية العلمانية».

توظف النّسويات الإسلاميات الدّين كمرجعية وركيزة لإصلاحاتهن، ويتناولن القضايا الخاصة بالمرأة من مرجع ديني.

إذ لا تتعرض على النّصوص الشرعية الخاصّة في شأن المرأة لا بالاستبدال ولا بالرّفض ولا بتعديل الفهم أو تفسير جديد، فغاية ما تقوم به تجاه النصوص أن تجعل أحكام الدين قريبة من حساسيتها نحو بعض النصوص أو موافقة لها، تُفسر النسويات الإسلاميات النصوص الدينية من وجهة نظر نسوية.

يمكن رؤية النسويات على أنهن فرع من المفسرين الذين يأسسون حججهم في الإسلام وتعاليمه، ويسعين إلى المساواة الكاملة بين النساء والرجال في الفضاء الخاص والعام ويمكن تضمين غير المسلمين في الخطاب والنقاش.

تُعرف النسوية الإسلامية من قبل العلماء المسلمين على أنها أكثر راديكالية من النسوية العلمانية وأنها راسخة في خطاب الإسلام مع القرآن كنص مركزي.

حيث ازداد نمو مفهوم النسوية الإسلامية حاليا في الجماعات الإسلامية التي تبحث عن الدعم من عدة مواقع من المجتمع. إضافةً لذلك، تسعى المسلمات المتعلمات إلى التعبير عن دورهن في المجتمع .

وفقًا لأم ياسمين من مركز الإسلام والأقليات المسلمة، فالنسوية غالبًا خاطئة بصفتها حركةً غربية، لكنها تتحدث عن أن النسويات المسلمات كن ناشطات منذ أوائل القرن التاسع عشر.

ليست مهمات النسويات المسلمات إصلاح دين الإسلام، بل تعزيز المساواة بين الجنسين داخل مجتمع علماني.

تخلص أم ياسمين كذلك إلى أن النسويات المسلمات طوّعن وجهات نظرهن التي يمكن من خلالها وضع الإسلام في سياقها من أجل الدعوة إلى المساواة بين الرجال والنساء بالتوازي مع عقيدتهم، لأن الإسلام لا يتغاضى عن العنف ضد المرأة.

يشكك كل من الرجال والنساء منذ القرن التاسع عشر في النظام القانوني المتعلق بتأثير قوانين الشريعة على النساء مثل الحجاب الصارم والتعليم والفصل وتعدد الزوجات واتخاذ المحظيات للزواج غير الشرعي.

بدأت النساء المسلمات في الدعوة إلى التغيير القانوني وإنشاء مدارس للبنات ومعارضة الحجاب وتعدد الزوجات بهدف إصلاح هذه القضايا الاجتماعية. دعمًا لحجة ياسمين، تقوض فاطمة المرنيسي

أن المرأة المسلمة المثالية التي تُصور على أنها صامتة وطائعة لا علاقة لها برسالة الإسلام.

في رأيها، استغل الرجال المسلمون المحافظون النصوص الدينية للقرآن للحفاظ على نظامهم الأبوي من أجل منع النساء من التحرر الجنسي؛ وبالتالي فرض مبرر للحظر الصارم وحقوق التقييد.

يدافع بعض الإسلاميين عن حقوق المرأة في الفضاء العام ولكنهم لا يتحدون المساواة الجندرية في الفضاء الخاص والشخصي.

جادلت سعاد الفاتح البدوي وهي أكاديمية سودانية وسياسية إسلامية

أن النسوية لا تتوافق مع التقوى وبالتالي هناك استبعاد متبادل بين الإسلام والنسوية.

تحاجج مارجوت بدران من مركز الأمير الوليد بن طلال للتفاهم الإسلامي المسيحي بجامعة جورج تاون أن الإسلام والنسوية

لا يستبعد بعضهما الآخر

وأن النسوية الإسلامية، والتي تشتق فهمها وتستعين بالقرآن، تسعى للمطالبة بالحقوق والعدالة للنساء والرجال في كلية وجودهم. يوجد جدل كبير حول النسوية الإسلامية، لكن أتباعها يدافعون عنها بشدة .

في المقابل تعتقد النسويات العلمانيات «بحزم في ترسيخ خطابهن خارج عالم الدين، وترين تأسيسه داخل خطاب حقوق الإنسانية.

كما أنهن لا يضيعن وقتهن في محاولة التوفيق بين الخطابات الدينية ومفهوم حقوق الإنسان والإعلانات المرتبطة. ويعتبرن الدين أمرا شخصيا يحترم، ويرفضنه كمرتكز للمطالبة بتحرير المرأة» .

فهي بذلك تقابل النّسوية الإصلاحية التي تقارب بين النّصوص الشرعية بما يتوافق مع مطالبها».

كانت مقدمة الحراك النسوي في مصر وسورية الدعوة لإظهار وجه المرأة. حيث طالب عديد المفكرين والمتنورين العرب كرفاعة رافع الطهطاوي والذي دعا لسفور المرأة عن وجهها، ومرقس فهمي والذي هدف في كتاباته إلى نزع الحجاب وإباحة الاختلاط، وأحمد لطفي السيد وهو أول من أدخل الفتيات المصريات في الجامعات مختلطات بالطلاب سافرات الوجوه وناصره في هذا الأديب طه حسين.

وقد تولى الدعوة معهما إلى السُفور قاسم أمين.

وقد تأثر الزعيم سعد زغلول وشقيقه أحمد فتحي زغلول بأفكار قاسم أمين ودعوا إليها. وتعود أولُ دعوة للسفور إلى عام 1900م عندما أصدرت هدى شعراوي «مجلة السُفور» ونشر فيها الكُتَّاب مقالاتِهم التي تدعو إلى السُفور ونقد المرأة التي تغطي وجهها، وتجرأت المجلة على نشر صور النساء، ودمجت بين المرأة والرجل في الحوار والمناقشة باعتبار أن المرأة شريكة الرجل.

وقامت الحركة النسائية بالقاهرة في العام 1919 برئاسة الرائدة هدى شعراوي بدعوة المرأة لنزع الحجاب. وفي تونس أصدر الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة قانوناً بمنع الحجاب وتجريم تعدد الزوجات. وفي العراق تولى المناداة بنزع الحجاب الشاعران

جميل صدقي الزهاوي ومعروف الرصافي. وخلال العهد الفيصلي في سورية وبالتوازي مع مصر، أسست «نازك العابد» وزميلاتها الدمشقيات جمعية «نور الفيحاء» النسوية سنة 1919 وكان هدفها لم شمل أخواتها الناهضات، وتطوعن لإسعاف الجرحى عقب معركة ميسلون، وأسست مدرسة لبنات الشهداء تحت اسم الجمعية، وقدمت مع زميلاتها خدمات إنسانية وتربوية واجتماعية، وأصدرت مجلة نسوية وجمعية للتمريض تحت اسم «الهلال الأحمر» شاركت فيها بنات دمشق المندفعات بحسهن الوطني لإغاثة المنكوبين، مع تعهد بنات القتلى بالرعاية والتعليم مجاناً.

وبالعموم فإن حركة تحرر المرأة كانت إحدى ثمار الأفكار العلمانية التي جاء بها رجال عصر النهضة.

في ستينات القرن الماضي نضجت الحركات النسوية العربية وخاصة العلمانية منها. وقد ساهم كتاب وشعراء الحداثة العرب بذلك، وفي مقدمتهم الشاعر نزار قباني،

والأديبة غادة السمان، وأيقونة حركة التحرر النسوي العربي نوال السعداوي، وبات الزواج رهين علاقة الحب والتفاهم بين

المتعلمين، وبدأ التشبيك مع الحركات النسوية العالمية، وغدا التعليم المجاني فرضاً على البنات مثل الصبيان، وسمح بالاختلاط في المؤسسات والأماكن العامة.

وقد مثلت نوال السعداوي رمزاً نسوياً في البلدان العربية والإسلامية، وهي من نساء الجيل الثاني للحركة النسوية العربية، كعلمانية محاربة ليس من أجل المرأة فقط وإنما لأجل الرجل أيضاً.

وقد نشرت 36 كتاباً تراوحت بين الأبحاث والروايات والمقالات التي تتحدث عن الثالوث المحرم: السلطة والجنس والدين.

وكانت أفكارها التحرُرية صادمة للكثيرين، حيث مزجَتْ في كتبها بين عملها كطبيبة نسائية وثقافتها في الفلسفة والتاريخ والدين والأدب. ووظَّفت ذلك في الدفاع عن حقوق المرأة.

يعتبر عدة باحثين أن نوال السعداوي لم تكن ضد الدين وإنما ضد التأويل الذكوري للنصـــوص الدينية، وقد أظهرت في كتاباتها فهماً عميقاً للدين، وقد أحرجت الإسلاميين في كثير من دعاواهم حتى باتت العدو النسائي الأول لهم.

تعتبر أبرز القضايا التي تحارب النسوية العربية في سبيلها: خلق وعي وتيارات معاكسة لما تنادي به الذكورية منذ الأزل، وخلق تشـــريعات تحمي المرأة، ومســـاواتها في التعليم والأجور وحق التصرف بمصيرها كاملا وجسدها كاملا.

رفع الوصاية الجنسية عن المرأة بما يضمن عدم السماح بتزويجها وعدم السماح باجبارها على الزواج، ووقف الختان واصـدار عقوبات ضـد المتحرشـين وحرية التنقل والتجوال والملبس .

كما تقوم النســـوية بالتحرك الجاد على الأرض لتوعية المرأة ودمجها مع ســـوق العمل وإعطائها حقوقاً وأجوراً مســاوية لتلك المعطاة للذكور، ومســاواتها بالذكر في القطاعات كافة سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية .

كما تقف النسوية في العالم العربي اليوم في مواجهة قضايا أهمها ختان الإناث، واحتقارها، ومنعها من تحقيق طموحاتها وأهدافها، وتعنيفها جسـدياً ونفسـياً، وتزويج القاصـرات، وحرمان الأنثى من اختيار الزوج، وتسـليعها جنسـياً عبر الاعلانات والمسـلسـلات ووسـائل التواصـل الاجتماعي، واجبارها في بعض الدول على ارتداء

الحجاب أو النقاب وفي البعض الآخر منعها من ارتدائهن، والتحرش والاغتصاب الجسدي واللفظي أيضاً سواء في الشوارع أو في العالم الافتراضي.

ذلك بالإضافة لكل التشريعات والقوانين الظالمة للمرأة وخصوصاً في العالم العربي.

خلاصة الموضوع

أن الحركة النسوية كان ولا بد منها لما عانته المرأة من ظلم واضطهاد في المجتمعين الأوروبي والشرقي وخاصة الإسلامي ، لكن الفرق بين الحركتين – الغربية والعربية – أن الغربية قد نالت ما تصبو إليه من حرية واستقلال وحق في التصويت والعمل والعدل والمساواة .

بينما تحاول النسوية العربية الآن الحصول على تلك الحقوق التي حصلت عليها النسوية الغربية من 50 عاماً ، حرية خلع الحجاب والسلطة في الزواج وعدم التحرش والتخلص من الهيمنة الذكورية .

ولكن كلا الحركتين أثرا تأثيرا سلبياً على الذكور وأذكر أهم تأثير وهو التأثير الاقتصادي .

إذ عملت النسوية جاهدة بالمؤازرة مع الرأسمالية على إدخال المرأة سوق العمل بمختلف مجالاته ، ولعدة أسباب أهمها :

1) أن المرأة تقبل بأي راتب وتعطي نفس جودة العمل التي يعطيها الذكر ! ، وذلك لأن المرأة في أغلب الأحيان تعيش عائلة على ذكر في حياتها سواء كان والدها أو أخوها قبل الزواج أو زوجها وأولادها بعده ، لذلك هي ليس لديها التزامات مادية كبيرة مثل التي يحملها الرجل (إيجار البيت وشراءه ،

الاحتياجات الأساسية للغذاء ، الملبس) لذلك هي تقبل بأي راتب فعملها غالباً ما يكون لتوفير احتياجات الرفاهية لديها .

2) المرأة أكثر انصياعا وطاعة وأقل تسببا للمشاكل من الرجل !

3) ضعاف النفوس من المدراء يفضلون النساء دوناً عن الرجال .

كل ذلك أدى فوضى في المجتمع وتغيير ديموغرافي اقتصادي يخلص بالآتي :

1) خسارة الرجال الوظائف السهلة نهائياً (السكرتاريا ، الوظائف المكتبية ، الوظائف تحت الإدارية) وسيطرة تامة للنساء عليها ، فلو كنت بأي دولة وجربت الدخول إلى مركز خدمة اتصالات أو بنك أو دائرة خدمية مكتبية ستجد أكثر من 80% من موظفيها نساء .

2) أصبح الرجل مطلوباً منه أن يكون متفوقاً أكثر من الحد المطلوب حتى يستطيع تأمين فرصة عمل ومنافسة المرأة ، بينما المرأة وفي أغلب الأحيان تتفوق لأنها امرأة فقط لا لأنها ذات شهادة أو خبرة ,

ولنوضح تلك النقطة سنأخذ مثال الجامعات السورية ستجد أن معظم العمال المخبريين والإدارين هم من الإناث بينما دكاترة الجامعة هم من الذكور والسبب هو الاستسهال فالعمل المخبري لا يتطلب جهداً طويلاً بينما لكي تصبح دكتوراً في الجامعة يتطلب الأمر مجهود كبير ، فتستسهل المرأة الأمر وتدخل الوظيفية الأسهل وتزيح الرجل تماماً منها بسبب قبولها بالراتب القليل ولأنها فقط امرأة !

3) أدت خسارة الرجال الوظائف السهلة مع وجود التزامات كبيرة لديه إلى طلب السفر وارتفاع نسبة البطالة ، وعززت النسوية أيضا فكرة الاستقلال المادي للرجل وبنفس الوقت تكون مسؤولية المنزل ومصاريف الزواج والأطفال على

عاتق الرجل ! ، لا بل وعززت أيضـــا فكرة واجبات الرجل داخل المنزل وقيامه بنفس وظائف المرأة فصار في النهاية مظلوماً لا ظالماً

كل ذلك أدى إلى ظهور حركة الريد بيل الذكورية .

رأيي الشخصي

عزيزي القارئ الذكر سـواء تكلمت حبيبتك بماضـيها أم لا ، لا تقم بنبش الوحل ففي زماننا هذا لا تكاد تخلو امرأة من ماض موحش ، كما قد يكون لديك أنت ماض فتقبل أن يكون لزوجتك ماض ، ولا تسألها عنه أبداً لأنه لا حق لك به .

ولكن احذر الارتباط بالمرأة المستهلكة عاطفياً والتي لديها أفكار مسبقة عن الحب نتيجة تجاربها الكثيرة أو تجربتها الطويلة ، فمهما قدمت لها لن تكون ســعيدة ، وستظل تجرك لماضيها ، وتضعك بمقارنات مع حبيبها في الحب ، وتنتقد أشياء بك (مظهرك ، عملك ، مالك) .

اجعل زوجتك مستقلة مادياً عنك وكن رجل البيت وقائده ! .

إذ يتيح لها الاسـتقلال توفير عيش رغيد لها ولك ولأطفالك إذا حدث لك مكروه أو وقعت في ضـــائقة مادية ، لكن احذر أن تجعلها تشـــاركك في مصـــروف البيت ، ستسقط هيبتك فوراً وتسقط شرعية طاعتك.

فطاعة المرأة تقدم بناء على أنك أنت قائد البيت والمســـؤول عنها وعن حياتها والرجل الذي يملك الحلول والإجابات على كل الأســـئلة ، لا على وجود خصـــيتين بين قدميك .

"لا تقطف المشمش"

الفصل الرابع

عنوان هذا الفصل : قصرايا

القاعدة العامة : كن بأوصاف ربوبيته متعلقاً وبأوصاف عبوديتك متحققاً .

القصة : كان في قديم الزمان قرية صغيرة ، بنيت وسط حقول فسيحة الخضر ، ترويها أنبع رومانية سخية ، وكان أناسها جميعاً يحملون في صدورهم قطعاً من الورق السميك أطلقوا عليها اسم "حْجَابْ" تحميهم من العين والحسد وأهوال الحياة كما تقول الأسطورة .

كان أناسها مزيجاً من الأغنياء والفقراء ، وكان الأغنياء مهذبين لطفاء ، يملكون أقنعة بيضاء وأحذية لامعة ويجيدون الرقص والتحدث بنعومة ويتقنون الانحناء برشاقة وتقبيل أيدي النساء ، وكان أطفالهم ذوو الشعر الحريري ينادون أمهاتهم برقة زائدة : (ماما) .

وكان الفقراء يقهقهون بخشونة في لحظات الفرح ، ويكثرون التنخم والبصق بعد الانتهاء من تدخين الدخان العربي المنتج في أراضيهم ، ويؤمنون بأنهم سيحلون ضيوفاً في الجنة بمجرد زيارة قبر الولي القابع في أطراف القرية وشطفه وتكنيسه ، وكان أطفالهم ذوو الشعر المجعد ينادون أمهاتهم بصوت فظ مملوط : (أمي) .

وكان الأغنياء والفقراء يحترمون الموتى احتراماً شديداً ، فعندما تمر جنازة يتوقف الجميع عن السير ، ويتألق الحزن والخوف في أعينهم ، ويساهم بعضهم في حمل النعش الميت المعروف لدى الجميع مسافة غير قصيرة .

ولحظة يفتحون أفواههم لتتلقف اللقمة الأولى من طعامهم ، كانوا جميعاً يقولون بخشوع : (بسم الله الرحمن الرحيم) ، حتى لا يشاركهم الشيطان في طعامهم ، ويتمتمون في ختام الطعام : (الحمد لله) مع عبارة "دايمة" ، حتى يديم الله نعمته عليهم ، إن الكون كله حسب رأييهم متوقف على تلك التمتمات .

وكانت عندما تأثم فتاة ما في القرية ، يفصل رأسها عن جسدها دون تردد بسكين كبير النصل ، وفي المساء يتلاقى العشاق خلسة في عتمة ما بين الأشجار ، وهناك تتعانق الأيدي بحرارة .

بينما ترمقهم نظرات الكهول الذين يهزون رؤوسهم بحسرة وأسف وهم يغمغمون : (عم الفساد .. المرأة تخرج ليلاً .. الابن لا يحترم أباه .. هذه العلامات المنذرة بانتهاء حياة العالم)

وكانت القرية ك كل قرى وبلدات ومدن الشرق العربي تبدع في التحكم والسيطرة وتسفيه النساء ، ولكل مجتمع فنه الخاص في ذلك .

وما يجعل الأمر مثيراً للدهشة أن هذا التسفيه والحرمان للمرأة لم يخرج من جنس ذكوري فقط كحال المجتمع الغربي ، بل وحتى النساء فيه تشاركن الذكور في تسفيههن وحرمانهن !

ولربما تساءلت عزيزي القارئ كيف ذلك ؟

لأن الشرعية المطلقة التي تحكم قريتنا الخضراء هي الخرافة المتناقلة من جيل لجيل وليس العقل أو المنطق ، وتلك الخرافة يطبقها الرجال والنساء على حد سواء لأنها مقدسة عندهم ، فمجرى الحياة في القرية يقوم على فكر القداسة وليس قداسة الفكر .

وكان عماد بلا سجائر ، كتلة لحم مسترخية على الكنبة الاسفنجية ، يهب عليه من النافذة المفتوحة هواء مثقل بأريج صيف موشك على القدوم ، نكش عماد زوجته السارحة مومئاً برأسه نحو المطبخ حتى تقوم وتساعد أمه وأخواته المحتفيين جداً بقدومه ، فزياراته لبيت أهله قليلة منحصرة بالمناسبات .

وكان عماد يحب الصيف ، ففي الصيف الماضي استولى على أملاك أهله وحق أخواته من المزارع والأراضي ، إنه شيء طبيعي في قريتنا ، إذ هل من المعقول أن نورث فتاة من ميراث العائلة ؟ ، فيذهب لاحقاً لزوجها الغريب ؟

الأراضي والأموال وحتى الدين ليس من حق الفتاة في شيء ، فهي في النهاية مهما علت مراتبها ستذهب إلى بيت زوجها ، فأقصى طموح وأعلى غاية للفتاة في قريتنا هي الزواج .

ويحلو لعماد على الدوام أن يتخيل الصيف أميراً ذهبي الشعر والوجه ، له يدان خشنتان وحانيتان ، ما إن تلمسا الحقول حتى تمتلئ بالسنابل الصفر وتولد بهجة شبيهة بسرب عصافير يحوم عبر السماء الزرقاء ، إنه يتفحص بيت أهله باستمرار متخيلاً التغييرات التي سيجريها بعد استيلائه على المنزل .

وكان باستطاعة عماد في تلك اللحظة سماع أنفاس أخته مرح المتصاعدة بانتظام ، ولقد استسلمت للقائه وهي حزينة وغاضبة فهو قد جاء لتهنئتها بالتخرج من كلية الطب فلا مناص من رؤيته ، إنها لا تعرفه ولم تعش معه ولم تجده في المواقف والأهوال التي تعرضت لها أمها وأبوها .

وقد آلمها جداً احتفاء أهلها به ، رغم كل الأذى الذي تسبب به ، فهو في رأي أهلها الذكر الوحيد والوريث الوحيد وحامل اسم العائلة ، فذنبه مغفور وسعيه

مشـــكور ، وأموال العائلة وقرارها ومصـــيرها كلها تحت تصـــرفه ، وهذا من الحق وليس من الظلم لأنه حقق أعظم إنجاز في حياة أي شـاب عربي ، امتلاكه لزوج من الخصيان يسترخيان تحت سرته ، تناوله مرح القهوة والمعمول تلاها ، فسبحان الذي سواه من ذهبٍ ومن فحم رخيص هو سواها ، وسبحان من يمحو خطاياه ولا يمحو خطاياها .

وعلى الجهة المقابلة ، يتكئ محمد بســاعديه على شــجرة مشــمش خضــراء أخذت فاكهتها بالنضــج واســتحالت إلى اللون الأحمر البرتقالي ، وخيل إليه مدة لحظة أن الشـــجرة امرأة مســـحورة ، غامضـــة فاتنة مثل حبيبته مرح ، وجهها حنطي عذب ، تتخلى في بعض الأحيان عن ثمارها وتســـتســـلم لخريف يغيب ضـــحكتها ، فتتحدر النجوم من الأعلى ، وتختبئ في شعرها الأسود المديد .

ولقد قعد وأسند ظهره على جذع تلك الشجرة ، متأملاً دورتها الحياتية ، فهي في كل عام تنمو ثم تزهر ثم تورق ثم تحمل الثمار ثم تتســـاقط وتتعرى ، إنها حقاً مسكينة لا تملك أي إرادة أو حق في الاختيار .

وربما ليس من الغريب تشـــبيه محمد شـــجرة الدراق بمرح ، فحتى مرح لم يكن لها اختيار في الولادة وحق اختيار بقعة الأرض التي تولد بها وحق اختيارها أفراد العائلة وحتى حق حبهم فهي مجبرة على حبهم بكل الأحوال .

يبدو أننا كبشـــر لا نملك إلا إرادة جزئية صـــغيرة في حياتنا ، والباقي تتحكم به الظروف التي نبذل حياتنا كلها محاولين التحكم بها ، يســـلي الكثير من الناس أنفســـهم بأفيون القدر ، فهم يعتقدون أيضـــا أننا لا نملك الإرادة في شـــيء ، ولكنهم يقفزون قفزة إيمانية مريحة ، إذ يؤمنون أن هناك قوة خفية ميتافيزيقية هي من تتحكم بحياتنا ومصيرنا ، وهي المسؤولة عن أصغر تفاصيل حياتنا .

وهذه القوة الميتافيزيقية دائماً ما تتمنى لنا الخير وتسعى لنا به ، ولكن إذا حصل مكروه للعائلة أو القرية ك كل ، يبدع أهل القرية في إيجاد تبرير مناســـب يفض التناقض الحاصل بين معضلة الخير والشر .

فأول ما يتفوه به أشـــياخهم هو أننا غير مؤمنين حقاً وأننا بابتعادنا عن تعاليم الدين قد فُعِلَ بنا كذا وكذا حتى نرجع إليه .

وثاني ما يتفوهون به هو أنه هذا الشـــيء مقدر لنا قبل خلق الأرض والســـماء ، وحينما يعجزون نهائياً يتفوهون بردود معلبة جاهزة من قبيل " حكمة لا تعلمها الا القوة الميتافيزيقية " .

وحينما يتوسـلون ويتضـرعون بالدعاء لشـؤونهم الخاصـة ، ينتظرون الرد القابع في السـماء مع تبريرهم الجاهز ، فإن حصـل نسـبوه لقوتهم وأنها اسـتجابت دعائهم ، وإن لم يحصـــل كأغلب الأحيان يتفننون مرة أخرى في التبرير من قبيل " كتب لك الأفضل " ، " سيعوضك في الجنة " ، لم تتوضأ بالشكل الصحيح ولم تحضر النية لذلك لم يستجب دعاؤك .

إنهم يعاملون قوتهم الميتافيزيقية معاملة الطفل الصـــغير الطائش إذ يبررون له كل شـــيء ، ولم يجرئوا أن يضـــعوها تحت التجربة لمرة واحدة ، إنهم يخافون من وضـعها لأنهم يعلمون أنها سـتخسـر لا محالة ، فهي لا تأبه بهم ولا بدعائهم إذ يعانون من الأسى والفقر ما يعانون .

ولكن إن حدث وأتى امرؤٌ وأخبرهم بحقيقة الأمر ، سـينتفضـون ويدافعون ، ولربما ذبحوه أو نفوه ، أو بأحسن الأحوال سبوه وأطلقوا عليه مسميات جاهزة تبيح قتله أو سبه أو عدم التعامل معه من قبيل " كافر " ، " ملحد " .

لأنه لامس خوفهم الأبدي ، خوف الفناء ، فالأديان مازالت قائمة في القرية ليس لأنها مقنعة أو منطقية أو تم التأكد منها ورصـــدها وتجربتها ، إنها باقية لأنها تقدم الجواب المريح ، إمكانية الحياة بعد الموت .

إذ يأنف كبرياء الإنســـان أن يقبل أن يفنى بعد هذه الحياة ، وأن الفناء مصـــيره الوحيد ، إنها قصـة مملة فالأنسـان بطبعه يحب الحبكة الدرامية ، يريد أن يحيا بعد هذه الحياة خلوداً أبدياً ، " لن يجدوا وراء القبر إلا الموت، ولكننا سنحافظ على السر، ومن أجل سعادتهم سنغريهم بمكافأة السماء والخلود " . (فيودور دوستويفسكي)

ففي قريتنا يؤمن الجميع بانتقال الروح من جسد لآخر وبحسب صلاح الشخص يتحدد مستوى الانتقال من مجنون إلى شخص عال القيمة ، فالدين مستمر لسببين أنه يبيع بضـاعة وهمية ، فلم يعد أحد من الموت ليخبرنا بحقيقة الأمر ، والسـبب الآخر هو التلقين منذ الصـــغر ، فينشـــأ الطفل عندنا مزوداً بتعاليم جاهزة (دينه ، طائفته ، أصدقاءه ، أعداءه) نرضعه تلك الأفكار تزامناً مع لبان أمه .

وفي شرح تلك الفكرة تتصدر أبيات أبي العلاء المعري المشهد ، إذ تقول :

وينشأ ناشئ الفتيان منا
على كـل ما عـــوده أبوهُ

* * *

وما دان الفتى بحجة ولكن
يعلمـــه التـدين أقـربوهُ

الدين باختصار أفيون الشعوب ، إذ يريحهم من عناء تغيير واقع حياتهم البائس ، ويوفر لهم إمكانية العيش المستمر بعد الموت ولو كانت بدون دليل ، بمجرد الإيمان والتمتمة , ويقدم لهم الإجابات حول فجواتهم المعرفية كبدء الخلقة مثلاً وقصة آدم وحواء

جنحت للأفول شمس غاضبة كانت تطلق صراخاً أبح في شرايين مرح ومحمد ، هرباً من ضجيج المدن ، وانزويا وحيدين طوال ستة أيام مرح في غرفتها ومحمد تحت شجرة المشمش .

يكرر محمد دائماً على أسماع مرح أنها عظيمة وعظيمة جداً ، وتدريجياً بدأ يلمح بشيء غريب ، إنها العبودية في الحب .

أثار ذلك في البداية اندهاش مرح إذ اعتبرته جزءا من الغزل اليومي ، حتى أتى اليوم الذي أخبرها به أنها هي الله وأنها معبودته ! .

حينها دقت نواقيس الخطر في عقل مرح معلنة الذعر والخوف ، فالعبودية عندها لا تكون إلا لمن خلق وأعطى كحال المؤمنين ، وهنا يكمن الفرق بين تعريف العبودية عند مرح وعند محمد .

ولأن الأيام تنضج المرء بحوادثها فيستحيل من حال لحال وينتقل من طور إلى طور ، وكذلك فعلت الأيام بمحمد ، فبعد سنوات التعلم الديني التي قضاها في الجامع ، أصبح لا يقيم للتاريخ المتناقل وزناً ولا يحسب له حساباً.

لأنه حسب رأيه بيت الكذب ومناخ الضلال ومتجشم أهواء الناس ، إذا نظرت إليه رأيت كثباناً من رمال الأباطيل قد تغلغلت في ذرات ضئيلة من شذور الحقيقة ، فيتعذر على المرء أن يستخلص من طيس أباطيله ذرات شذور الحقيقة .

وفي هذا يقول معروف الرصافي :

وما كتب التاريخ في كل ما
روت لقرائها إلا حديث ملفقُ

* * *

نظرنا لأمر الحاضرين فرابنا
فكيف بأمر الغابرين نصدقُ

قصرايا

(1)

وجهك مرتبط بمدينة

تسكن بجواء الأنهار

عيناها خضر وجميلة

تخفي آلاف الأسرار

يغريها النهر بأمنية

فتفلت كل الأزرار

وتفتح ساقيها العاجية

مقابل حلم الإبحار

لكن مدينتك السحرية

لن تعبر تلك الأسوار

فرياح النهر خرافية

لا تحمل إلا الإعصار

وشراع مدينتك الذهبية

لا يبحر ضد التيار

ستظل شوارعها الصخرية

أجمل من كل الأشعار

ستظل على أمل الحرية

ترمي الحلمَ على الأقدار

(2)

حبك مرتبط بمدينة

وفيها عنوان الميلاد

ميلاد فتاة شرقية

رسمت للكون الأبعاد

ومناعة حب مرضية

هزمت كل الأضداد

عبدت عيناك البشرية

ما أجمل فيكِ الإلحاد

حبك مرتبط بمدينة

بيت المختار لها مفتاح

أجول شوارعها الوحشية

أشرب من فمها الأقداح

أسأل عنك البحرية

أسأل عنك السياح

حبك مرتبط بمدينة

تشبه في مدخلها لبنان

مركزها طائفة علوية

لا تنجب إلا الشجعان

وخارجها أنهار عسلية

تشرب منها بالمجان

حبك مرتبط بمدينة

ترقص عندي في الدفتر

تغريني في الصبح بحمرتها

تمشي الثوب الأحمر

وترسم كحلتها الليلية

لتضم الصدر الأسمر

حبك مرتبط بمدينة

آهٍ يا مرحي آه

لو أني أملك بيتاً فيها

لو أني أملك حجراً فيها

لكنت ملكت البشرية

حبك مرتبط بمدينة

أسميتها قصرايا الأبية

الشرح : مر على البشر دهر كانوا فيه مستعبدين يعيشون بين رب ومربوب ، وكان الرب الواحد منهم في نعيم والألوف من المربوبين في شقاء ، وكان الأرباب فيهم كثيرين على درجات مختلفة ، أما المربوبون فهم السواد الأعظم الذي فهم السواد الأعظم الذي يكد ويشقى لينعم الأرباب .

وكان المربوبون يعملون لهم ويعبدونهم خوفاً وطمعاً ، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحالة إذ قال : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ .
أما القوة التي كان الأرباب يستعبدون بها المربوبين فهي إما مادية كالقوة البدنية وما يتبعها من سلاح وأعوان ، أو أدبية كالدين وما يتبعه من رؤساء وكهان .

وقد تكون هاتان القوتان إحداهما عوناً للآخر وقد تجتمعان في شخص واحد ، وخلاصة القول أن هاتين القوتين كانتا منذ عرف التاريخ إلى يومنا هذا هما الوساطة لاستعباد البشر .

لا شك في هذه الحالة التي لا تعرف للمجتمع حقوقاً غير حقوق الأرباب محتاجة إلى إصلاح ، وإن خير ضامنٍ لإصلاحها ماجاء به محمد من كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) ، وهي من مخترعاته التي لم يسبقه أحد إليها .

لأن (يهوا) إله اليهود فقط وإن كان واحداً ، إلا أنه ليس بإله عام بل هو إله إسرائيل فقط ، كما أنه إله إسرائيل في الأرض الموعودة فقط ، أما الاله العام الأعظم الشامل المهيمن على جميع المخلوقات فهو الله الذي عرفه ووحده محمد لا غير ،

قد يقال إن العرب في حياتهم قبل محمد كانوا يعرفون الله بهذا المعنى ،

إي إنه إله عام خالق لجميع المخلوقات ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ ، أقول نعم ولكنهم لا يوحدونه بل يجعلون له شركاء ، فلم تنتف عنهم العبودية لغيره من أصنام وغير أصنام .

وإذا تأملنا جيدا في معنى (لا إله إلا الله) وجدنا كل مافيها أنها ترتقي بالناس من طور أدنى إإلى طور أعلى ، إذ تخرجهم من طور عبودية عامة إلى طور عبودية خاصة أي أنها تجعل الناس كلهم مستعبدين لإله واحد لا شريك له .

فالمنفعة المترتبة على كلمة التوحيد هي للناس لا لله لأنها تحررهم من العبودية لغير الله ، فنفعها لا لا يعود إلا إليهم وفائدتها لا تكون إلا لهم ، فإن الله لا يضره أن يعبد الناس غيره ، كما لا ينفعه أن يعبدوه دون سواه .

لا موجود إلا الله

قلنا فيما تقدم إن كلمة التوحيد ترتقي بالناس من طور عبودية عامة إلى طور عبودية خاصة ، نقول هنا أن هذه العبودية لما كانت لخالق غير مخلوق ولرزاق غير مرزوق ، عبودية شريفة لا يترتب عليها ما يترتب على العبودية العامة من المضار التي تنتهي بشقاء العبد ونعيم المعبود .

وللناس في عبوديتهم لله فائدتان : إحداهما التحرر من العبودية لغير الله ، والأخرى اتجاه النفس في جميع أحوالها إلى الأصل الذي تفرعت منه والذي هو مرجعها في المنتهى حسب كلام القرآن : ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ .

ومهما كانت العبودية الخاصة شريفة فإن هناك مرتبة أعلى منها وهي مرتبة الفناء في الحقيقة الكلية المطلقة اللانهائية التي هي ذات الله ، وعنوان هذا

المرتبة (لا موجود إلا الله) وهي المعبر عنها في كلام فلاسفة الإسلام باسم وحدة الوجود .

نعرف الشيء الموجود بأنه إي شيء لديه كتلة معينة ويشغل حيزاً في الفضاء ، فنحن كبشر موجودون لأننا نملك كتلة معينة ونشغل حيزاً في المكان وهو ما ينطبق على كل شيء نراه امامنا ونحس به أو نرصده ولما قال محمد (لا وجود إلا الله) فإذا أخذنا هذا الحديث بحذافيره فأنه خاطئ لأننا كما أسلفنا موجودون لا بل ولنا أثر في الوجود .

ولكن ما قصده محمد تحديداً أنك إذا تصورت الفضاء بأثيره ولا نهائيته وبامتداده الزمني وبما فيه من كائن جلي أو خفي تصوراً كلياً لا يعلق بالصور الجزئية ، فقد تصورت الحقيقة الكلية المطلقة اللانهائية التي هي ذات الله وعلمت ألا موجود غيرها فالكون ككل هو ذات الله وليس هناك قوة ميتافيزيقية قابعة خارج الكون تملك عدادين أحداهما عداد الحسنات المضروب بعشرة والآخر عداد السيئات ، والسبب أن إله الإسلام متأثرا بمجريات الكون فيمر عليه الزمان كمره علينا فهو يقول : ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ ، وأيضا يتأثر بالجاذبية ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ فالحمل هي إعطاء قوة معاكسة للجاذبية لرفع الشيء من مكان لمكان .

وأيضا هو يغضب ﴿غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ . وكيف يغضب مع أنه قدر الأقدار وكتبها في اللوح المحفوظ ويعلم ما كان وما سيكون وما كان قبل أن يكون لو كان .

وهو يتحسر أيضاً ﴿ يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ ، فالأمر أشبه بكاتب كتب مسرحية وأعد شخصياتها ثم تفاجئ مما حصل في القصة

التي ألفها مسبقا وتحسر عليها ، فكيف لإله يعلم كل شيء وبيده كل شيء أن يتحسر ؟ .

وهو يسب ويشتم ويتوعد أيضاً فيقول :

- ﴿ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

فوصف المكذبين لدعوة محمد بالكلاب التي تلهث .

- ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ۚ ﴾

ونعت اليهود بالحمير .

- ﴿ عُتُلٍّ بَعدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴾ - ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾

والزنيم هو ابن الزنى ، إذ وصف من قال عن آياته أنها أساطير الأولين بابن الزنى !

إنك تلاحظ بشرية القرآن الواضحة والتي من المستحيل أن يتفوه بتلك الآيات إله كلي الحكمة والعلم ، إنه لا يعدو أن يكون كلام بشر ، إنه من تأليف محمد .

ومتى استطعت في فكرك أن تندمج في الوجود الكلي فانياً فيه ناسياً وجودك الجزئي غير ذاكر من نفسك صورتها المحدودة فقط فقد جاز لك أن تظهر مظهر الوجود الكلي وأن تقول وتفعل عن ذات الله ، لأنك بصورتك الجزئية غير موجود إلا وجوداً صوريا وإنما الموجود هو الوجود الكلي المطلق اللامتناهي .

فالشجرة هي الإله إذا تصورتها بصورتها الكلية انها جزء وكيان واحد من هذا الكون ، وهنا نستطيع تفسير قول محمد أن مرح إله .

لأنه أزال من مرح صورتها الخاصة وجعلها تندمج بالكون الكلي فصارت منه وصار منها فكانت إلهاً .

وفي هذا يقول محي الدين بن عربي " المسيحيون لم يكفروا حينما قالوا أن المسيح إله ، لأنه بصورته الكاملة ضمن الكون هو إله ، ولكنهم كفروا حينما خصصوا الألوهية بالمسيح " .

المسلم يشغل العقل في غير دينه فقط

فمثلا المسلمون يعترضون على الكتاب المقدس أن الله ينام فيه ويقولون كيف لله أن ينام ؟!

بينما هم يصفون الله بأنه يضحك ويتعجب ! (يضحك الله لرجلين) وقال (عجب الله) وهي احاديث صحيحة .

فلما جاء المسيحيون وقالوا أن النوم هنا بمعنى الترك كقولك (نمت عن حاجة فلان) يعني تركتها ولم اعد مهتما بها إلا أن المسلمين رفضوا هذا التبرير من المسيحيين !

واتهموهم بالتحريف بينما عندما استخدم القران كلمة (نسوا الله فنسيهم) فقال المسيحيون كيف ينسى الله !؟

رد المسلمون بانه مجاز وان معناه الترك أي أنه تركهم كقولك لشخص (نسيتك) يعني تركتك ولم اعد مهتما بك !!!

فلاحظ أن المسلمين يستخدمون نفس طريقة المسيحيين بالتبرير لكنهم يرفضونها اذا استخدمها المسيحيون ويقبلونها فقط مع دينهم وربهم !

فهل رأيت تناقض أوضح من هذا !

والامثلة كثيرة تقطع ان المسلم لا يمكنه ان يعمل عقله في دينه بينما يعمله في غيره ونفس الحجة يرفضها ان كانت ليست لصالح دينه بينما يستخدمها لو كانت في صالحه !! فهو غائص بالتناقض لاذنيه

ومن الأمور التي نســـتطيع أن نجزم بصـــحتها بطل ثقة ، أن الرجال كانوا دائما يتصدرون قِمرة إنشاء الأساطير .

عَلامات تدخّل الرجل في الأســـاطير واضـــحةٌ جدا لِمن قد فهم (حقيقة) الفن و (حقيقة) الطبيعة ، فهل نرى في أســطورة آدم وحواء إلا وجهة نظرة الرجل إلى المرأة ، إلى أشياء أخرى اختُزلت في الأسطورة ضمن المقاصد المتعددة التي ألمحنا إليها سابقا؛

في قصـــة أدم وحواء العبرانية ، التي تلقَّتها هي الأخرى من السَّـــرديات الأخرى ، تظهرُ المرأة بواقعيتها يومئذ عاريةً مكشوفةً ، فهي فاتنة و نادرة – نسبتهم إلى الرجال عددا – و أنانية و ضرورية للوجود رغم كل ذلك ؛

لذلك لعب الخيالُ الذٌكوري على تلكم الأوتار ، فهي التي غرَّته بالأكل ، و هي التي خرَجت منه ، و هي التي تأخرَّت عن الوجود ، و هي التي أخيرا كانت المدخل الوحيد للشـــيطان إلى آدم ، ثم ترتب عن كل ذلك الطَّرد من الجنة ، و فقدانِ الخلود و الراحة ، لينفتح عليهما باب إلى الحياة الأرضية.

(في ســردیات أخرى المرأة هي التعويض الإلهي للخلود ، بعدما لســعت الحية الرجل فـأفقـدتـه الخلود – فبفضـــل المرأة ينـال الخلود لخوض صـــراع طويـل ضـــد الحية/الشيطان : أعني التكاثر الجنسي و هذا تشريف نادر!)

فلتلك النتائج عمَد الرجل إلى تبرير الهبوط القسري و اتهام المرأة و استحقاقِها العقاب التَّعزِيري ، ففسَّر خروج دم الحيض في النفاس بأنه قصاص من اللّه/الآلهة ، و الآلام الوضع و الحمل بأنه قصاص من اللّه /آلهة ، و تغير مزاجها على نفسها بأنه كذلك قصاص من اللّه /آلهة ، بينما آدم اقْتَصَّ منه بأن يبحث عن طعامه بيديه ، فَيُفلح الأرض و يحرثها و يحصد ، بعدما كان بالجنة لا يجوع و لا يتعب.

هكذا فالرجال لم تكن نيَتهم أن يستنقصوا من المرأة ، و إنما الأمر أكبر من ذلك – مع بقاء قصد الرجل إلى الانتقاص من المرأة خفيًّا و واقعيًّا – الأمر هو أن يجدوا البدايات المفترض البعيد للجنس البشري في ضباب الماضي السَّحيق ، ثم حدث أن تركزت المقاصد بطريقة رائعة ، حتى خرج عملهم الفني على أروع صورة كانت ، ثم سرعان ما اكتسب هذا العمل صبغة التقديس ، لتصير أداة من أدوات السياسية في تجميع المجموعة ضمن التنافس من أجل البقاء.

خيالُ الرجال أنقذهم هم و النساء ، أما النساء فهن لا يختلفن كثيرا عن جهد الرجال ، فالمرأة هي الأمل الوحيد للنجاة من الانقراض بفضل عنايتها بالأطفال و اختراع صنوف لا تعد من الطعام و حيل الحائكة.

فالرجال بفضل خيالهم الواسع جعلوا العالم على مظهر قابلٍ للاحتمال ، أكثر منه مجرَّدًا عن الفن ، فموقعو البشرية ضمن عالم واسع و هائل ، هكذا فقد اخترعوا الفن لأن الطبيعة لم تُشبعهم و لأنها تُخيفهم و لأنها قاسية على الاحتمال ، فاخترعوا عالما آخر أكثر سلاما و أكثر فائدة من هذا العالم الهائل ، يتسامون به على ما يصعُب تصديقُه من الحياة الواقعية : الموت ، الزلزال ، الشيخوخة.

تلكم كانت جبهةً عنيفةً اضـــطلع فيها الرجال بدور كبير و هائل لقد اخترعوا الفن لأن الحياة الواقعية قاسيةٌ قسوة مفرطة.

و النساء ، فلأنهن تأخَّرْن عن احتراف الكتابة و حضور جلسات الرجال ، بسبب الانشغال المزمن بالحمل و الرضـــاع و إعداد الطعام ،فقد فاتهم –بطريقة عجيبة– أن يقلن رأيهم في الرجال . و من المرجح أنهن ســـيتفنن في تبرير ســـبب خروج القضـــيب و الخصـيتين بروايات لا تخلو من الطرافة و الدقة الفنية – لكن لحســن الحظ فخيالهم ليس كخيال الرجال ، و لحســن الحظ أنهم كن مشـغولات بالطبخ لمدة طويلة جدا ، إلى وقت قريب من تساوي الحظوظ السياسية و الاقتصادية و الثقافية بينها و بين الرجل

لأن الإنســـان أضـــعف ما يكون و أخوف ما يكون (كما تقدم) ، فقد كان عليه إلى حد بعيد أن يكره المرأة لأسـباب هائلة تكاد لا تُحصـى؛ لذلك فوحده الرجل العاقل، الذي تلقى تربية منزلية صـــحية أو اضـــطلع بفلســـفة صِـــحِّية ، هو من لا يقف من المرأة موقف العداء أو الكراهية ،حتى تلك الكراهية المبطَّنة في المغازلة الشـــعرية و الرومانسية الفائقة.

هكذا فالروايات التي نسـجتها الأسـاطير عن المرأة هي على جانب كبير من الدقة ،لو أخذت بأصلها، الذي دفنته الأوهام و تخاريف القرون :

فحديثُ " رفقا بالقوارير " و " المرأة ناقصـة عقل و دين " و "شـهادة امرأتين تعدل شـهادة رجل واحد " ، إلى نظرة الأسـاطير إلى المرأة باعتبارها " مشـكلة " ، كلٌّ منها يسـقط بالحرف الواحد على أفراد هائلة من إناث البشر (الخطوط العريضة)، ذلك لأن الأساطير وقتئذ لم تكن تشرح المرأة بل المرأة هي التي تشرحها.

شـــيء آخر أزيده على ما تقدَّم و هو أن أولئك الرجال لم يضـــعوا تلك النَّظرات الذكورية بِنية حاقدة بالدرجة الأولى، كما هو الحال في يومنا هذا ، بل وَضـعوها ضـمن المشـروع الهائل الذي يتمثل في سـد ثغرات الوجود الخيالي –تلك النية جاءت أكثر الأساطير.

دمٌ الحيض و الكون ، لا يلتقيان إلا في الخيال البشـري ، فحدث أن التقيا في قصـة البداية . هكذا فالله عاقبَ المرأة بالحيض على فِعلتها ،ثم شـــاء أن خلق الأرض ، ليبدأ مســـلســـل الرســـل والأنبياء و الامتحان و ترتيب العقاب و الثواب عليه و في الحقيقة هذا الانتقال الســـريع بين الأحداث يُنبِّه الذهن الوقَّاد على الخيوط التي تبعها الأولون في عملية موقعة الجنس البشـــري ضـــمن العالم الواســـع الهائل، لِمقاصد علاجية ، و لأن الطبيعة قضت على البشر أن يبقوا في (حلبة) التطور ضمن هذه الكيفية ،التي هي واحدة من عدد هائل من الكيفيات في الكائنات الحية.

في وقتنا المعاصـر ، فالرجل قد يكره المرأة لأسـباب لا علاقة لها بما تقدم ، فقد يكرهها لأن أمه خانته أو خانت أباه أو لأن أخته تحظى باهتمام أكثر منه في الأسـرة ، أو لأنه جرب الارتباط فلم يحصـل إلا على سـلسـلة عريضـة من خيبات الأمل ،فيئس و ضـرب عن النسـاء صـفحًا ، و حقد عليهن ، إلى أسـباب أخرى تكاد لا تخرج عن مغامرات الحياة الواقعية.

لكن هذا الكره هو كره لا علاقة له بمن ذكرناهم سابقا ، و قد ألمحت بسرعة إلى أن محرك أولئك الرجال كـان بريئا – تقريبا – من الحقد و الكراهية ، و أنبه إلى أن هؤلاء الرجال يومئذ لم يكونوا يبحثون عن المرأة ،على نحو ما نفعل اليوم فنظامنا الثقافي غير نظامهم ، هذا وحده إلى المقصـــد الحقيقي للخيال الرجالي ، يشـــفع بدرجة كبيرة ضد الرأي العام في صِدقيَّة الأسطورة في هذا الباب الذي نحن بصدده.

رجال اليوم أكثرهم لا علاقة لهم بالفن ، و يمكن ترجيع عقدة المرأة عندهم – الشـــيء مثله يُقال عن المرأة – إلى ظاهرة عقدة النقص ، هذه العقدة هي التي تسمح لهم بتبنِّي الأساطير التي تقف من المرأة موقف العداء ، كأنها عندهم كلام نزل من السماء و ليس من الأرض!

هكذا نرى ذلك الرجل عندما تفشل محاولاته في مواسم الزواج و يجرب طرازا معفَّنا من النساء ، يقول كأنه يعزِّي نفسه عن محنة الحب :

" النســاء حبائل الشـيطان ، ناقصـات عقل و دين ، لا تذهب إلى المرأة إلا و السـوط في يدك" و غير ذلك من الاقتباسـات التي لم توضـع لتفسـر نفسـية المرأة بل المرأة هي التي وُجدت أولا لتفسِّر الاقتباسات

ملحوظة : (1)

لا توجد جُملة /أســـطورة تجمع أفراد إناث الجنس البشـــري عن أخيرهم ، لذلك فوجود أفراد لا تستطيع الجملة /الأسطورة ، هي واقعة لا شك فيه ،لذلك فوجود فرضـية شـاملة مسـتغرقة لمطلق أفراد الإناث في زمن كل العصـور ، هي فرضـيةٌ خاطئةٌ إجمالا.

ملحوظة : (2)

الأساطير هي تخبر بالخطوط العريضة بنفسية المرأة ، ذلك لأن المرأة هي التي تَشرح الأســـطورة التي وُضـــعت عليها –بحســـن نية كما تقدم – و ليس العكس؛ لذلك فالأساطير نسبية و قابلَة للتجدد كما نرى (من خلال الملحوظة (1) و (2))

ملحوظة : (3)

ليس لأن ذلك الكلام من تلك الأســـطورة فهو خاطئ و غير عقلاني ، و قد تقدم بيان فساد الرأي العام عن الأسطورة في مناسبات كثيرة غير هذه؛

فالذي قال رِفقا بالقوارير و هو يكني عن المرأة بقنينة زجاج ، لم يقل شــيئا جديدا إيجابيا ، بل لأنه لاحظ رقة المرأة و سرعة تغيرها و أنها خاطره سريع الكسر بطيء الجبر ، فقد التمس لتلك الظاهرة في المتشــابهات شــيئًا ماديًّا ، تكون تلك الظاهرة أظهر فيه منها في المرأة : الاستعارة .

و بناء على (1) و (2) و (3) ، يظهر أن الأسطورة فيها جانب عقلاني كبير ، و يظهر منها الجانب العالمي و الجانب الجغرافي الخصوصي في وحدة واحدة؛

وجهة نظري عن العلاقة السليمة تقدمت في غير هذه المناسبة.

هوامش :

واضح أن ثمة ثغرات ناقصة في العمل الفني ، و صعوبة شديدة في تقديم خلق الإنسان على العالم ، ضمن تذبذب مكشوف.

و في الحق هكذا هو الفن ، و تلك مشــكلة أســاســية لا في العالم بل في العقل/المقولات /المصــادرات ، يبقى الأشــكال قائما حتى نظن أن العقل لم يوجد ضمن مهمة معرفة الكون و التفاصيل الأولى لنشأت .ه

.فنحســم بثقة ثمة انغلاق هذا الباب علينا إلى الأبد ، و لو كنا ننســى فنحاول معه بعض المحاولات ، على أمل اختراقه ، ثم لا نحصــد في كل مرة إلا مزيدا من خيبة الرجاء من إمكانيات العقل ، و مزيدا من اليقين بأن ذلك الباب لا حيلة للبشر بإزائه!

وحينما تحب أحداً وجب أن تحب قريته وحيه ومنزله وجدران غرفته كما يقول مجنون ليلى :

أمر على الديار ديار ليلى
أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبي
ولكن حب من سكن الديارا

أحببت البحث عن قرية معشـــوقتي مرح بحثاً ديموغرافياً وتاريخياً ثم أحببت أن أخلد اسمها في كتابي هذا فيتشرف ويسموا بها .

قصرايا : قرية سورية تتبع ناحية عوج في منطقة مصياف في محافظة حماة .

وحينما أتحدث عنها فإنني لا أســـتطيع الحديث عنها بالتحديد فهي متصـــلة مع القرى التي تجاورها ولا يمكن الفصـــل بينهم لتداخلهم وتشـــابههم الشـــديدين ، فإنني أتحدث عن (قصرايا ، مريمين ، عكاكير) ، ولكن سأكتفي بذكر قصرايا .

يعمل قسـم كبير من سـكان قصـرايا بزراعة الزيتون والكرمة واللوزيات وفيها معمل للصناعات البلاستيكية وتشتهر «قصرايا» بخضرة أراضيها وتنوع أزهارها، بشكل عام الخدمات في القرية جيدة من ناحية الماء والكهرباء والصحة

تعد عائلة جبر أكبر عائلة فيها والأكثر امتلاكاً للأراضـــي ، ومنها عين أول مختار للقرية .

تشـتهر «قصـرايا» بمياهها العذبة التي تتدفق من عدة ينابيع مثل (نبع الفوار وعين زعرورة وعين السـمر) وأول ما يلفت انتباه الزائر لها هو روعة أراضـيها وتنوع الورود والأزهار في بساتينها.

ومن الناحية الأثرية والتاريخية عثُر في «قصـــرايا» على بقايا كنائس والعديد من الأعمدة التي تحوي على كتابات يونانية وعدد آخر من اللُقى الأثرية لعل أبرزها على الإطلاق لوحة الفســـيفســـاء المعروضـــة في متحف «حماة» الوطني هذه اللوحة المُكتشفة في « قصرايا» مطلع الستينيات من القرن الماضي والتي تعتبر من اللوحات النادرة، ذات الأبعاد (4.25x 5.37 م)، تمثل مشـهداً موسـيقياً والمشـهد عبارة عن نساء من العصر اليوناني يعزفن على آلات موسيقية تعود لتلك الفترة.

تعتبر تلك من أقدم المدن الســـورية التي لم تكشـــف أســـرارها بعد – إن لم تكن أقدمها على الإطلاق – وقد ردد ذكرها التاريخ القديم كثيراً.

وقدر الأثري رينيه دوسو بأن عهد بناءها يعود إلى ألفي سنة قبل الميلاد، فيما نستدل من آثارها الحجرية أن عهد بناءها يرجع إلى أواسط الألف السابع قبل الميلاد.

إنّ حســـن اختيار ســـكان قصـــرايا الأوائل لموقع مدينتهم أثار إعجاب كبار المؤرخين، فقد اعتبر دوســـو بأن قصـــرايا من أحكم المشـــارف على وادي العاصـــي بين حمص وحماة.

وذكر دوســو أيضــاً: « نظنها القديمة التي يرجع عهدها إلى قبل ألفي ســنة من الميلاد، مذكورة في أســفار المصــريين الباحثة عن قادش وكانت قصــرايا في عهد الفينيقيين على تخم أهل أرواد ».

كما اعتبر المؤرخ الخوري عيسى أسعد بأن بناء الحمصيين القدماء لقصرايا في موقعها المعروف يدل على حسن تخطيطهم

لأنها من خير المعاقل لرد الغزاة من الغرب. وذكر الخوري أيضــاً بأنها «بلدة قديمة العهد جداً موقعها إلى الغرب من مدينة حمص في ســفح جبل الحلو كائنة في وسـط غيضـة نضـرة تروض الناظر إلى قحولة السـهل الممتد إزاءها وهي من أقدم المدن السورية ردد ذكرها التاريخ كثيراً»

من المعتقد بأن قصرايا كانت إحدى الممالك الأمورية في الفترة الممتدة منذ بداية الألف الثانية ق.م وحتى القرن الرابع عشــر ق.م إلى جانب كل من قطنة وقادش وتخشي ونيا وسيانو وأوغاريت ويمخاض وجبيل وحاصور وغيرها.

وحوالي ســنة 1200 ق.م دمرت قصــرايا على يد شــعوب البحر الذين دمروا جميع الممالك في سوريا الوسطى.

·في العهد الفينيقي ومنذ القرن الثامن قبل الميلاد أصــبحت قصــرايا تذكر باســم قصـرايا وبأنها تابعة لأملاك أرواد وكانت قصـرايا وسـيفون (صـهيون) مؤسـستين أروادیتین لقوافل أرواد التجارية في الوقت الذي كان فيه حصــن ســليمان محراب أرواد المقدس.

وربما أن حدود مملكة قصـرايا توسـعت غرباً لتصـبح متاخمة لأملاك أرواد، وبقيت كذلك حتى سنة ٣٣٣ ق.م عندما فتحها الاسكندر المكدوني مع سيفون (صهيون) وباقي المدن الأروادية.

في العهد السـلوقي ذكرت قصـرايا باسـم قصـراي كمسـتعمرة في منطقة الحدود الجنوبية للإمبراطورية السـلوقية وكان يمر بها الطريق القادم من ميناء ماراثوس (عمريت) في السـاحل الذي يتجه شـرقاً ليمس وادي النضـارة وجبل الحلو من الجنوب ثم يتجه شمالاً عبر قصراي (قصرايا) إلى أفاميا وأنطاكية.

في العهد الروماني أصبحت قصرايا مدينة مزدهرة وتتمتع برخاء اقتصادي ومستوى ثقافي وفني رفيع.

وتم إنشاء شبكة كثيفة من الطرق فيها (ربما بني قسم منها في العهود السابقة) وجميعها كانت مرصـوفة بالحجارة، وكان يمر بها الطريق الروماني الدولي الشـهير الذي يصـل حمص وما بعدها بأفامية وأنطاكية وبقي ظاهراً في عدة نقاط حتى منتصـف القرن العشـرين، بالإضـافة إلى طريق قصـرايا – الظهر ماراً بميق، وطريق قصرايا – رامونة ويتصل مع طريق ميق .

وما زالت آثار هذين الطريقين ظاهرة في أماكن كثيرة حتى الآن.

كما تم في هذا العهد إنشـاء قناة الحبشـة (الحبيشـة) التي كانت تغذي عدة قرى منها دويرين وعزيزي ورفعو (من القرى البائدة في سـهل الحولة) بالإضـافة إلى قرمص، وبنيت عليها عشـرات الطواحين بقيت سـتة منها تعمل حتى الخمسـينات من القرن العشرين..

تدل الآثار الفنية المكتشـفة في قصرايا أن هذه المدينة قطعت شوطاً متقدماً في عالم الموسيقا والعزف، وأنه كانت تقام فيها حفلات موسيقية راقية جداً يحضرها

جمهور ذواق استخدمت فيها آلات موسيقية متطورة من سائر أنحاء العالم القديم بما فيها الآلات اليونانية والهندية.

وهذا يدل على أنها كانت تشكل قمة الارتقاء للنهضة الموسيقية في سوريا مما يدعو للاعتقاد بأن قصرايا كانت عاصمة سورية الموسيقية في سوريا خلال العهد الروماني .

كما تدل اللوحة المكتشفة فيها وهي لوحة عازفات قصرايا والمعروضة حالياً في متحف مدينة حماه والتي تعتبر من اللوحات النادرة وصنفت بأنها أجمل لوحة فسيفسائية في العالم.

فهي تعبر عن بداية مرحلة جديدة والانقطاع النهائي لمرحلة التقليد والإرث الكلاسيكي الطويل، وتعتبر من النماذج الفسيفسائية ذات الجودة الفائقة التي تعبر عن أصالتها وأصالة المفهوم والمعنى من خلال إتقان وبراعة فنان قصرايا في تنفيذ كعوبها الحجرية الصغيرة وبهاء الألوان وانسجامها وتوازن التركيب فضلاً عن الحياة والحركة التي تشع من أركانها.

وإبداعه في التعبير عن مشاهد الصيد في إطار اللوحة عبر رصد حركات الحيوانات الخائفة، وملامح الرعب والهلع المرتسمة على وجوه بعض الآلهة الماثلين فيها.

كما تظهر حالة الترف والرفاهية والذوق الرفيع التي وصلت إليها مدينة قصرايا من خلال المنسوجات الفاخرة والفخمة التي ترتديها عازفات قصرايا.

انتشرت المسيحية في قصرايا منذ عهودها الأولى بسرعة أكبر من انتشارها في بعلبك وحمص والرستن وحماه بسبب موقعها الملاصق للجبال والتعصب الشديد لعبادة الشمس في المدن المذكورة.

ونستدل على ذلك من ذكر أشهر مسيحيي قصرايا وهو القديس جلاسيوس الشهيد الذي استشهد في بعلبك بتاريخ 27 شباط سنة 298 م ونقل جثمانه من بعلبك إلى قصرايا ودفن فيها وبني فوق ضريحه كنيسة وذلك خلال الفترة التي وصلت فيها عمليات الاضطهاد ضد المسيحيين إلى ذروتها.

في العهد البيزنطي تبوأت مدينة قصـــرايا مركزاً دينياً مرموقاً وأصـــبحت من أهم معاقل النصرانية، حيث كانت إحدى الأسقفيات الثمانية لسورية سكوندا (الثانية)، مما يدل على عظمتها واشـــتركت قصـــرايا بالجدل الديني حول طبيعة الســـيد المســـيح، وأرســـلت أســـاقفة يمثلوها في المجامع المســـكونية الســـبعة، وذكر من أســـاقفتها بولص وكيروس ومجنوس.

تدل بقايا الكنائس التي عثر عليها في قصـــرايا وظهرت بها آثار الدمار والحريق أن تدمير مدينة قصـــرايا التاريخية تم في ســـنة 573 م على يد ملك الفرس كيخســـرو الثاني.

وشـمل الدمار جميع القصـور والكنائس والمنازل والمراكز العمرانية التي بنيت بجهود أبناءها خلال الأحقاب التاريخية المتعاقبة لتصبح خراب، وبعد رحيل الجيوش الفارسية عـاد إليها بعض أبنـاءهـا الـذين تمكنوا من الفرار وبنوا مســـاكنهم على أنقـاض مدينتهم، ومن يومها تحولت قصرايا من مدينة إلى قرية.

في صدر الإسلام ذكرت قصرايا كقرية من قرى حمص، ولم تذكر المصادر الإسلامية كيف فتح المسلمون قصرايا، وكل ما ذكروه هو إقامة بعض الصحابة فيها منهم العرباض بن سارية السلمي الذي نزلها قادماً من مصر (وهو الصحابي الذي نزلت فيه الآية 92 من سورة التوبة وكان من أهل الصفّة ومن البكائين) وبنى فيها مسجداً

وعاش فيها أحفاده عدة قرون ومن المعتقد أن بعضهم ما زالوا يعيشون في قصرايا حتى الآن.

وكذلك الصحابي قدامة بن عبد الله بن مهجان (أو هجان)، وغيرهم.

في العصر الأموي وبعد مبايعة حمص لمروان بن الحكم أصبحت قصرايا في سنة 65 هـ (685 م) من أهم معاقل الزبيريين في الشام، وفر إليها الكثير من أنصار عبد الله بن الزبير .

إلى أن شن عليها الحكام الأمويين حملة سنة 73 هـ (692 م) وأخضعوا فيها قصرايا ومنطقة الحولة وجبل الحلو وقتلوا فيها العرباض بن سارية والكثير ممن دعوا لابن الزبير من الصحابة والتابعين.

·في منتصف القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) ذكر أحمد بن محمد بن عيسى البغدادي (المتوفي سنة 257 هـ) في كتابه تاريخ الحمصيين أن أحفاد العرباض بن سارية السلمي ما زالوا يقيمون في قرية قصرايا.

في منتصف القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) أصبحت قصرايا مركزاً للتصوف بعد أن هاجر إليها اثنان من مشايخ الصوفية من تلاميذ الخصيبي وهما الشيخ يونس البر البديعي بعد عودته من مصر ومكة (ضريحه إلى الشمال من ساحة المنزول) .

والشيخ أبو الليث علي الكتاني مع ثمانية من تلاميذه إلى قصرايا بعد عودتهم من مكة (ضريحه في المقبرة الواقعة شرقي البلدية)، حيث بنوا فيها مدرسة ومسجد، ومع قدومهم تحول التصوف من مجرد ظاهرة دينية إلى ظاهرة اجتماعية أشيعت فيها حياة الزهد والتقشف.

في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري (القرن العاشر الميلادي) أصبحت قصرايا مركزاً لزعماء بني هلال، وأقام فيها كبار أمرائهم المشهورين مثل أبو زيد الهلالي ودياب بن غانم وحسن بن سرحان وغيرهم عندما كانت قبيلتهم ضاربة في السهل الممتد بين جبل الحلو وحماه.

وبنوا قصورهم غرب قصرايا في المنطقة الواقعة إلى الشمال من عين رامونة، وبقيت آثار صيوان دياب بن غانم ماثلة حتى الثمانينات من القرن العشرين في المكان المعروف حالياً ب «كرم طالب».

وفي قصرايا تلقى زعماء بنو هلال أوامر الخليفة الفاطمي العزيز (365 – 386 هـ) بترحيلهم إلى مصر بعد انتصاره على القرامطة في الشام.

وتجمع بنو هلال أمام قصور أمرائهم في قصرايا استعداداً للمسير الطويل وأطلقوا على هذا المكان اسم أرض «المْسير» وما زال يحمل هذا الاسم حتى الآن.

ومن هذا المكان انطلقوا في تغريبتهم التاريخية.

بعد رحيل بني هلال قدمت إلى قصرايا موجة هجرة جديدة من الجولان مؤلفة من تحالف عناصر من التنوخيين والخزرج والغساسنة والعبديين وأحفاد جيش البرامكة بقيادة زعيمهم محمد الناسخ البغدادي الذي توفي في قرية الشويّة في نهاية القرن الرابع الهجري أو بداية القرن الخامس الهجري.

ثم انتشرت هذه العناصر في أرجاء الساحل السوري.

في بداية القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) ذكرها ياقوت الحموي في معجمه .

في سنة 665 هـ (1267م) قدم إلى قصرايا المعلّم جبرين بن سالم بن سلامة الرفدي الأنصاري (المشهور بلقب السلطان جبرين لمكانته الدينية والاجتماعية الرفيعة)، ثم تبعه مجموعة من علماء اسفين مثل المعلم عطارد والشيخ مسلّم بن عسكر النقيب والشيخ أبو الصفو إبراهيم حنيفة.

·عاشت قصرايا خلال العهد المملوكي عصراً مظلماً فقد اكتنف هذه الفترة الغموض، وربما كان ذلك بسبب سوء الأحوال الاقتصادية والانحطاط الفكري والتزمت الديني الذي طغى على مظاهر الحياة في العهد المملوكي.

·في بداية العهد العثماني كانت حدود بلدة قصرايا محصورة بين مقام الشيخ مجد والساحة التي عرفت فيما بعد ب «ساحة أبو صيني» وساحة المنزول. ونستدل من مكان إقامة العائلات في بداية القرن العشرين على ترتيب قدوم هذه العائلات إلى قصرايا.

·حوالي سنة 1610 م قدم إليها الشيخ أحمد بن مقصود (المعروف باسم الشيخ أحمد المضوى نسبة إلى والدته مضوى) من سلالة الشيخ علي (العامود) بن الأمير مرسل (الجمرزل) الكناني الكلبي المدرسي الصوفي مع أبنائه من منطقة القرداحة ملتحقين بأقربائهم الذين فروا من الجندرمة التركية منذ عهد سليمان القانوني إلى قصرايا وفاحل العتيقة والقبو (منهم من التحق بقريبهم الريس شلهوم في فاحل العتيقة)، وأقام إلى الشمال من مقام الشيخ مجد (مكان منزل شحود الخضّور حالياً).

ورد في مخطوطة مؤرخة في شعبان من سنة 1060هـ (1650 م) أن الشيخ إسماعيل سيغاتي أقام في قصرايا فترة قصيرة ثم رحل منها إلى دير شميّل فسيغاتا حيث توفي فيها.

ورد في مخطوطة مؤرخة في 25 شوال من سنة 1072 هـ (1662م) أسماء لمجموعة من أعلام قصرايا بعضهم من أجداد سكانها الحاليين منهم الريّس علي بن جعفر بن أحمد بن مقصود جد آل مقصود وكانوا مقيمين بين مقام الشيخ مجد وغرب ساحة المنزول (بيت جبر (الأكبر) ، بيت الخولي ، بيت يوسف أو بيت الضحية ، بيت إبراهيم أو بيت حسن ، بيت أحمد أو بيت عثمان ، بيت محمد أو كما يشاع بيت الغاروف). وناصر بن خليل المحرزي جد المخيرزة (من أصول مصرية) وكانوا يلقبون ب «الرمّاحة» وكانوا مقيمين إلى الشمال من ساحة أبو صيني ((ومنهم تفرعت عائلات يوسف (الغازي) وخليل (اليونس) ودعبول (خلوف، أحمد) وعساف)). وحيدر بن كمال وهو (حيدر أو حيدور) جد آل علاّن وينتهي نسبه إلى الصحابي العرباض بن سارية السلمي t وكانوا مقيمين إلى الغرب من ساحة أبو صيني (وتفرع منهم عائلات صقور وحيدور ومنصور ومكسور). كما ورد في نفس الوثيقة ذكر لمجموعة من أقرباء الأعلام المذكورين ومنهم رجب والشيخ يوسف ومحمد من أبناء محسن، وأولاد حيدر وعلوش.

في نهاية القرن السابع عشر قدم إلى قصرايا الشيخ محمد علي أبو كرداية من سلالة الشيخ علي بن الملا بن مقداد بن جمعة بن أحمد الحكيم الطبي الحلبي السباعي الخلاصي الذي يتفرع منه أيضاً آل العباس في الطليعي .

وهم علويين نصيريين وال وردة من نسل محمود (والد كل من عزالدين وعلي والحاج حيدر) بن محمد العباس الجابر المنصور بحمص باب السباع وهم الآن سنة احناف والشيخ علي المقداد الحلبي ابن عم بيت السباعي المغاربة الذين ينحدرون من نسل عامر الذي عاش بالمغرب في القرن الثامن الهجري بينما بيت السباعي بحمص جدهم عبد القدوس الذي جاء إلى حمص في القرن الرابع الهجري ولا قرابة لهم ببيت السباعي المغاربة حيث ان البعض يلتبس عليهم الامر خاصة وان الشيخ علي

المقداد الحلبي هو سبعي وليس سباعي لأنه كان على الطريقة السبعية الصوفية الاشراقية كما يظن وأبو كردايه الذي قدم إلى قصرايا هو جد الشيخ عيسى الصبحة وأقاموا إلى الشمال الشرقي من ساحة المنزول (ومنهم تفرعت العائلات: عيسى، سعيد، فاضل، صالح، ملحم، موسى، إبراهيم، يوسف، سليمان، أسمر، خليل، تامر، سلوم).

في فترة قريبة من الفترة التي قدم فيها محمد علي أبو كردايه قدم إلى قصرايا الشيخ عيسى بن بدر الشامي جد آل الشامي وأقاموا إلى الشمال الغربي من ساحة المنزول (ومنهم تفرعت العائلات عبد الله وديوب ومسلّم ومحمد (حسن) وديبو وخضرة وحلاق وحسن (أسعد) ويوسف (سلطان) وخليل.

وكان الشيخ أحمد البنّا (جد خضر البنّا) مقيماً فيها.

·حوالي سنة 1750 م قدم إلى قصرايا أحفاد الشيخ هويد الحوراني من سلالة الصحابي معاذ بن جبل، وهم ناصر وبدر وسلمان بعد وفاة والدهم إبراهيم في عكاكير وأقاموا إلى الجنوب الشرقي من مقام الشيخ مجد) وأطلق على حيهم اسم حارة المشايخ. (ومنهم تفرعت عائلات الحسن، منصور، بدر، بلقيس، خليل، ناصر، ديوب، ونوس، وسوف (العيسي)، علي (البدر) .

ورد في مخطوطة مؤرخة في ٦ ربيع ثاني من سنة 1200 ه (1786 م) أسماء مجموعة من أعلام قصرايا منهم الشيخ سلمون بن سرور من أحفاد الشيخ إسماعيل سيغاتي وهو زعيم آل سلمون في قصرايا وفاحل وكفر كمرة وعوج (تفرع منهم في قصرايا عائلات بلال وعباس وسليمان وسرور وإسماعيل) وكانوا مقيمين شمالي المقبرة القديمة إلى الغرب من بيت مقصود.

ورد في مخطوطة مؤرخة في المحرم من سنة 1203 هـ (1789 م) أسماء مجموعة من أعلام قصرايا منهم الشيخ منصور بن سلمان (جد آل منصور) وأبناء عمومته حسين بن ناصر (جد آل بدر وعلي)، وبدر (جد آل ونوس) وابنه عيسى (جد آل وسوف العيسي)، ومحمد بن حسن (جد آل الحسن) وجميع هؤلاء من بني هواد الحوراني.

كانت سنة 1801 م من أسوأ السنوات التي مرت في تاريخ قصرايا الحديث، فقد انتشر فيها وباء الجرشة (الحصبة) وتوفي فيها 75 ولداً بسبب هذا الوباء، كما انتشر المرض والجوع والفوضى وعم الغلاء الفاحش فقد بلغ سعر سنبل الحنطة في قصرايا 300 قرش، وسنبل الذرة 180 قرش، وسنبل الشعير 140 قرش حسب ما ورد في نفس المخطوطة المؤرخة في 8 شوال سنة 1216 هـ (1801 م).

في سنة 1844 م امتدت الحرب العشائرية التي اندلعت في صافيتا إلى قصرايا وانتهت إلى رحيل آل البنّا من قصرايا إلى نيصاف واغتيال الشيخ بدر الشامي في قرمص.

ورد في وثيقة مؤرخة في 8 تشرين أول سنة 1897 م (1315 ه) أسماء مجموعة من أعلام قصرايا منهم خضور السليمان «مختار أول» ومحمد بن ديوب «مختار ثان» وسلمان بن حسن إسماعيل وشدود بن وسوف الجعلوك وسمور عبد الله وابن عمه خضّور محمد ووسوف مسلم وسلطان وأحمد العساف وأخيه سويدان ودعبول بن أحمد الدعبول وخليل أحمد وعيسى الديوب ومحمود الخدام.

ورد في وثيقتين مؤرختين بنفس التاريخ وهو يوم 6 نيسان 1915 (1334 ه) أسماء مجموعة من أعلام قصرايا وهم :

وســـوف بن محمود الريّا وابني أخاه غدير الغضـــب وحمدو الغضـــب وعيّاش الريّا ومحمود الريّا وشـحّود الأحمد وإبراهيم الخضـرة وعيسـى بن علي السـعيد وعيسـى الملحم والشيخ حسن بن أمين بن حسن وسلمان العلي بدر وصالح أبو عادل وعيسى العصمان من خنازير (هكذا وردت في المخطوطة).

في بداية خريف ســـنة 1918 وعندما كانت فيه الدولة العثمانية تلفظ أنفاســـها الأخيرة أعلن فلاحو قصـرايا تحررهم من السـيطرة الإقطاعية وطردوا الإقطاعي من بلدتهم، ثم هزموا القوات الشـريفية التي اسـتعان بها الإقطاعي (الحملة الثانية) في ربيع قصرايا سنة 1919 م.

وكانت ثورة قصـــرايا هي أول ثورة فلاحية منظمة ضـــد النظام الإقطاعي في العالم، إلا أن هذه الثورة لم تأخذ حقها من الشهرة والتدوين ولم تحصل على ما تسـتحق من الاهتمام من قبل المؤرخين ومن الحركات الثورية وذلك بسـبب تزامنها مع ثورة الشـــيخ صـــالح العلي، ووقوع قصـــرايا على الحدود التجزيئية التي أقامها الاستعمار الفرنسي.

بعدها تم إثارة قضـيتهم في محاكم مصـياف واللاذقية وبيروت حيث انتهت في سنة 1930 بصدور أمر المفوض السامي الفرنسي بونسو بقسمة الأراضي مناصفة بين الفلاحين والإقطاعيين مع إلزام أحد الطرفين ببيع حصته للآخر وإجبار مستشار مصياف بيّو على سحب قوات الدرك من قصرايا والقرى المتحالفة معها.

فحصـل فلاحو قصـرايا على قرض من البنك التونسـي الفرنسـي في بيروت واشـتروا حصة الإقطاعي وانتهوا من تسديد أقساطه سنة 1936 وتم توزيع الأراضي عليهم وسجلت الملكية النهائية باسمهم سنة 1938.

وكان النغم الموسيقي لقصرايا مميزاً على مر القرون إلى أن استقرت كمثيلاتها من قرى الساحل وريف حمص على العتابا والميجانا .

والعتابا هي من أنواع الزجل أي الشعر الغنائي التراثي الشعبي المنتشر التي لها مكانة مرموقة في الغناء الشعبي السوري والغناء الشعبي اللبناني على وجه الخصوص والغناء الشعبي الشامي على وجه عام وفي المنطقة الغربية للعراق أيضا، ويرددها العامة في كل مناسبة مثل الفرح والسمر والأنس.

يتركب بيت العتابا من بيتين ولكل بيت شطرين، وتكون الاشطر الثلاثة الأولى على قافية مجنسة أي يتفقان في اللفظ ويختلفان في المعنى، وينتهي الشطر الرابع بالباء الساكنة المسبوقة بالألف أو بالفتحة مثال:

جبلنا بدمنا ترابو جبلنا
ومهما الدهر غضباتو جاب النا
منبقى هون ما منترك جبلنا
تراب الأرز أغلى من الدهب

عادة ما تبدأ العتابا بكلمة «أوف» وأصلها اسم الفعل «أف» ومعناه أتضجر وأتكره ثم تتبع بالبيت ، ولحبي لقصرايا وساكنيها وموسيقاها فلقد كتبت أبياتَ عاتبا لمرح محاولاً تقليد شعراء المنطقة ، وأعترف أنني فشلت ولكن تكفي المحاولة :

تعالي صيفي بقلبي طقس فيه
حرام بسهم عينيكي تقصفيه
عطيني رمش من عينك تقص فيه
الورد الطالع بين الأعشاب

إلا أنني أخذت تركيب العتابا وبنيت عليه شعراً بالفصحى بنفس تركيبه وهو ما أجيده بشكل أفضل من اللهجة الساحلية الجبلية التي لا أعلم عنها إلا القاف في كل شيء ، فأقول :

إذا الصبحُ انقضَى ورآكِ عادا
وصـالحَ مَـن أمَرتِ بهِ وعادا
لها وجهٌ هـدى إرَمَـاً وعادا
ورَدَ الريحَ عطراً أو شـــرابا

وحَقِ من انتـــحى بحراءَ غارا
وكلـــلَ جبهةَ المهزومِ غارا
قتيلـــكِ لـو قتلتِ سواهُ غارا
وسَهمكِ حيثما أخطى أصابا

أنا الحلبـيُ إذْ يَشتـاقُ شامهْ
ويتبـع طـــيفك حيـث شامهْ
ودمع فوق كحل فوق شامهْ
كـــليلٍ يكتسـي صُبحاً مذابا

إذا قلـــمُ الزمـانِ غَدَا وراحا
يسطـــرُ جبهـةً مني وراحا
سقتني طفلةٌ عسلاً وراحا
محتْ بهما الكتابة والكتابا

" عِشْ في كوكبك الخاص معها "

الفصل الخامس

عنوان الفصل : بديهية الحب

القاعدة العامة : مراهقة النهد لا تحجبيه *** فقد أبدعت شفة الثغر فيه

القصة : كان جسدها جميلاً حاراً ، حاولت أن تبعده عن يديه لحظة جلس بجانبها على الأريكة غير أن ساعده كان سريعاً فطوق الخصر بقسوة ، الجسد ممتلئ وليونة اللحم تبعث في أوصاله رعدة متشنجة ، عينا الفتاة آسرتان .

لم يستطع المقاومة ، ثمة استغاثة ضائعة في العينين ، أطبقت أهدابها ، وقالت : (أكمل يا حبيبي) .

وكان وجهه قريباً من وجهها ، فدنت شفتاه ومستا شفتيها مساً رقيقاً ، كان كافياً لأن يجعله يشعر برقة الشفة ونعومتها ، وغمره إحساس عجيب في تلك اللحظة كاد يدفعه إلى أن يجثو على ركبتيه قبالتها ويسقط رأسه في أحضانها وهو يلهث .

قليلاً إلى الأمام وأصبح وجهه ملتصقاً بنهديها ، إنها ناضجة إلى حد يجعله يحس بالرعب منها ، ولقد طالما ضحك من إحساسه هذا ، وحاول مراراً الرد على تحرشاتها الكثيرة ، ولكن ذلك الإحساس كان أقوى منه فيشله عن الحركة ، إنه لا يدري لم أصبح يذكرها كلما غرس أسنانه في تفاحة ناضجة شهية .

يذوب الجسم بالجسم كذوبان الثلج بالماء وينطوي اللحم باللحم كغلاف كتاب يوناني كبير ، وأصبح غيم الشاب أنهراً في تلال الفتاة ، وانتهت معركة الأجساد بلا منتصر فكلاهما منتصران وكلاهما منهزمان .

بينما ينتهي جناس الأجســـاد ، حينها تكون اللحظة الأجمل لجناس العقول ، تتحدث فتمتزج الأفكار بعد امتزاج الأجســـاد ، ويحدث تناغم ثنائيتي الجســـم والعقل ، يبدأ الشاب بالحديث سارداً القصة التالية لحبيبته :

معظم الناس يعرف قصـــة ألف ليلة وليلة لا كما هي في الكتاب بل كما قدمته المسلسلات الرمضانية، الملك شهريار خانته امرأته مرة فراح يتزوج بنات الناس ويقتلهن انتقاماً حتى طلب شهر زاد ابنة وزيره فراحت تقص عليه قصة تفضي إلى قصة إلى الف ليلة وليلة.

ولا نعرف على وجه اليقين ما جرى عليها بعد ذلك ، اما القصة الاصلية فأكثر جرأة وحبكة وفضـائحيةً إن شـئت ، إذ أنها تبدأ لا مع شـهريار بل مع أخيه الأصـغر شـه زمان وهو ملك تجاورُ بلادهُ بلادَ أخيه ، يخرج للصيد وقد نسي خاتمه فيعود لأخذه فيرى امرأته تخونه مع عبد له فيقتلهما.

لكنه يفقد صـــوابه ويقول : ما نفع الملك إن كانت امرأتي فضـــلت عبدي علي ، ويمتنع عن الطعام والشـراب والكلام حزناً وصـدمةً فيخافُ علِيه وزراءهُ فيرسـلونه لأخيه شهريار .

ولا يفهم شـهريار ولا أطباءه ما أصـاب شـه زمان ولا يريد أن يراه من يرد عليه في ديوانه على هذا الحال فينزله في حريم القصـــر ثم ينصـــرف شـــهريار لبعض غزواته فيشهد شه زمان من نافذة غرفته تسعاً وتسعينَ جاريةً لشهريار يخرجن إلى حديقة القصر يلعبن حول بركة ماء فيها.

ثم يشـــهد تســـعةً وتســـعين عبداً يخرجونَ من البركةِ تباعاً وكأن ثمةَ ســـرداباً تحت الأرض يفضـــي من الخارج إلى قاع البركة ثم تنزل امرأة شـــهريار من مقصـــورتها وتصـــفق بيديها وتنادي يا مســـعود يا مســـعود فإذا بعبدٍ أضـــخمَ من التســـعة

والتسعين عبداً الآخرين يقفز من وراء سور القصر ثم يشهد شه زمان خيانة زوجة شهريار وجواريه أمامه في الحديقة.

يشهد مئة امرأةٍ من نساءِ أخيه مع مئةِ من عبيدهِ. فحين ينتهي ذلك الحفل الغريب إذا بـــ شه زمان يضحك فمن يرى مصيبة أخيه تَهِنْ عليهِ مصيبته وقال في نفسه : هذا أخي أكبر مني سناً وأعظم مني ملكاً ومصيبته مئة ضعفِ مصيبتي .

فلما عاد شــهريار من غزواته وجد أخاه يأكل ويشــرب ويتكلم وقد شُـفيَ مما به فسألهَ عن خَبَرِهِ فأخبره شه زمان بما رأى فلم يصدق شهريار فقال له شه زمان :

أعلنْ في القصر أنك خارجٌ للصيد وابقى في غرفتي وانظر ترى بنفسك ففعل شهريار ورأى ما رأى أخوه بلا زيادةٍ ولا نقصــان ففقدَ صــوابهُ هو الآخر وأمر بقتل النســاء المئة والعبيد المئة ثم قال لأخيه : ما أظن أحداً من الناس ابتُليَ بما ابتلينا به فما نَفْعُ المُلْكِ إن كان مثل هذا يجري علينا ؟

فالرأي عندي أن نترك مملكتينا لوزيرينا ثم أن نضرب في الأرض فإن وجدنا أحداً من الخلق وقعَ عليه مثلُ ما وقع لنا عدنا وعلمنا أن مثل هذا يكون وإلا فنحن ملعونان منحوسان ولا خير لنا في ملك ولا سلطة.

فوافقه أخوه وخرجا في ملابس الدراويش يقطعان الجبال والوديان وبعد طول حلٍ وترحال وصلا إلى شاطئ البحر فبينما هما يستظلانِ بشجرةٍ هناك إذ علا في البحر إعصارٌ كالعمود فاختبئا أعلى الشجرة وإذا الإعصار جِنيٌ ضخم يخرج من البحر حاملا على رأسه صندوقا كبيراً .

فلما وصلَ إلى البر وضع الصندوق وفتحه فاذا فيه صندوق أصغر ففتح ذلك ايضاً فإذا فيه ثالثٌ وفي الثالثِ رابعٌ إلى سبعةِ صناديقَ . فلما فتح آخرها أخرج منه صبية كالقمر وقال لها : يا زوجتي العذراء يا من اختطفتها من عريسها يوم عرسها ولم

يمســسـها إنسٌ ولا جان وحفظتها من الثقلين في ظلماتِ البحرِ السـبعِ وفي هذه الصناديق السبعة، أنا متعب فاجلسي إلى هذه الشجرة أسند رأسي إلى حجرك وأنَمْ ففعلتِ الصــبية كما أمرها الجني ونام والملكان في أعلى الشــجرة يرتجفان خوفاً ففطنت لهما الصــبية فأشــارت لهما أن ينزلا فقالا لها : إن نزلنا أكلنا هذا الجني صاحبك فهمستْ لهما بل إن لم تنزلا نبهته ليأكلكما فلم يجدا بداً من النزول.

فلما فعلا أمرتهما أن يتجردا وأن تمارسَ الجنسَ معهما فامتنعا فهددتهما بالجني ففعلا مكرهين ، فلما فرغوا قالت لهما : هاتا خاتميكما ففعلا فأخرجت علبة صغيرة فيها ثمانية وتسعون خاتماً وأضافت إليها الخاتمين

فقال لها الملكان : قد نلت منا ما شئت فأخبرينا خَبرك .

قالت : هذا الجني اختطفني ليلة عرسي على ابن عمي وحبسني كما تريان فأقسمت انتقاماً منه أن أخونه مئةَ مرةٍ وقد فعلتْ ، وبكما أتممتُ العدد والآن إلى الشـجرة قبل ان يتبه لكما .

صـعد الملكان وأفاق الجني وقال للصـبية يا زوجتي العذراء التي لم يمسـسـها إنس ولا جان لنعد أدراجنا ووضــعها في الصــندوق مطمئناً وأغلق عليها الصــناديق السبعة وحملها على كتفيه وغاب في البحر .

فنزل الملكان يضحكان وقالا : فهذا أمر يكون على الاقل نحن بشر وهذا جني وجرى عليه هذا الذي جرى وعاد كُلٌ إلى مملكته ، لكن شهريار بقي مهموماً كيف يضمن أن لا يجري عليه ما جرى معهُ ومع أخيه ومع الجني في مُقبلِ الأيام ؟

فهداهُ عقله إلى أن يتزوج كل ليلةٍ بصــبيةٍ بِكْرٍ ثم ما إن يقضــي ليلته معها حتى يقطع رأسها فيضمن بذلك أن أحداً لم يمسسها قبله ، وان أحداً لن يمسها بعده تضمن له العذرية الما قبل ويضمن له الموت الما بعد .

فصار يقتل صبية كل ليلة تزف له النساء وتمشي الندابات إلى جانب الطبالات في العرس لعلمهن بما سيكون عند طلوعِ الفجرِ .

فهربَ أهل البلد ببناتهم حتى خربت الحقول وخلت القرى والملك على عنادهِ فلم يجد ذات يوم إلا ابنة وزيرهِ وكان له ابنتان واحدة بالغة قارئة في الكتب حكيمة تدعى **شهرزاد** ، وصغيرة طفلةٌ لم تزد على خمس سنوات من العمر تدعى **دنيا زاد** .

فلما طلب الملك كبرى ابنتيه رجع الوزير مغموما وقال لأهله شدو رحالكم ولنهرب من هذه البلاد .

فقالت له شهرزاد : بل أخَبِرِ الملكَ أني أقبل وتوكل على الله ثم قالت لأختها أن تندَسَ في صناديقِ ملابسها ومتاعها الذي سَيُنقلُ معها إلى القصر وقالت لها : إذا سمعت الملك نادى السياف فاخرجي من صندوقك وقولي له : قبل أن تقتل أختي ائذن لها أن حكي لي حكاية على ما جرت به عادتها مرة اخيرة قبل أن تقتلها.

فلما كان ذلك كله رق شهريار بدنيا زاد وأذن لشهرزاد بالكلام فبدأت تقص قصصها .

والقصة أعمق مما يرى أكثر قارئيها فحين تُختَصرُ المرأةُ في بعدها الجسدي وحده وعلامته في القصة هنا " العذرية " كما هي علاقة الجني بصاحبته أو علاقة شهريار بضحاياه تصبح المرأة في خطر والرجل في خطر يكون الرجل تعيسا والمرأة قتيلة والبلاد خراباً.

فشهريار مستعدٌ أن يرتكبَ مذبحةً عامةً وأن يَخرب بلاده ليضمن أن لا تكون اي من زوجاته لرجلٍ غيره ، لاحظي إنه لا يطلقهنَ بعد الليلة الأولى بل يقتلهن لأن ما يخيفه هو ـن تكون زوجته لرجل سواه سواء فعلت ذلك بالشرع والقانون أو دونه .

إن شهريار يرتكب مذبحة لأنه يرى ذلك الطريقة الوحيدة للحفاظ على شرفهِ وشرفهُ عندهُ هو تَملكُ المرأةِ والمرأةُ عنده الجسد وضمانة التفرد هي بملك المرأة المختصرة في بعدها الجسدي هي العذرية قبله والموت بعده .

لذلك ليس من العجب أن مشهد دنيا زاد طفلةٌ لم تبلغْ ، وشهرزاد قائمةٌ مقامَ أمها هو المشهد الذي يأجل غضبَ شهريار ، للحظة يرى في المرأة الأم والبنت ، مثالان للمرأة مختلفان عن مثال المرأة المشتهاة .

شهرزاد تحكي لأختها الطفلةُ لا الملك فما شُغلِ الملوكِ سماعَ قصص الجن والعفاريت ؟ ، ولكنها تتعمد وقف القصة عند نقطة تثير فضول الملك فيرغبُ في السماع فيصبحُ هو ايضا متلقياً للقصة كدنيا زاد فيصبح كالطفل وتصبح شهرزاد أمه هو الآخر.

كأن قصة تروي كيف أن العلاقة بين الحبيبين إن كانت مقتصرةً على الجسد والسلطة كعلاقة الجني الأحمق بالصبية التي في الصندوق وعلاقة الملكين بزوجتيهما الأوليين وعلاقة شهريار بجواريه تنتهي بالخيانة والقتل.

أما العلاقة التي تكون المرأة فيها أكبر من البعد الجسدي وحده فهي التي تعيش ، ثم القصة هجاء للهوس بعذرية المرأة كوسيلة لفرض سلطانِ الرجل عليها وإنها ليست معيار الأمان ولا الأمانة .

ولو كان مغزى القصة أن المرأة لا تكون مأمونة إلا إن كانت تمارس الأمومة لكان مغزىً شديدَ التبسيط ، بل تُصِرُ القصةُ على ان المرأة فيها كل شيء ، هي المشتهاة وهي أيضاً الراعية الرائمة الراحمة المداوية وجع الروح كالأم في الوقت ذاته .

فالكتاب يذكر بوضوح أن شهريار لا يبدأ السماع إلا بعد أن يكون الزوجان قد امتزجا ،ثم القصص نفسها فيها من المواضيع الجريئة والكلام المكشوف مالا يقال إلا بين الزوج وزوجته .

أقول عزيزتي : إن تراثنا أكثر انفتاحاً وجرأةً من حاضـرنا وهذه قصـصٌ كانت تروى بحضور الملوك والأطفال .

وثنائية الملك والطفلة وهما جمهور شـهرزاد الأول لم ترد عبثا أيضـاً فالقصـص المليئة بالعشق والشعر والنثر اللذين يعتبران في زماننا هذا فاضحين كانت تروى على ملك وعلى طفل ، أي على فئتين من البشـر يكونُ المرءُ في أقصـى درجات الحرص والأدب في الكلام معهما .

والمقصود ، أن الكلام في هذا الباب يجب ان يكون بلا خجل وللجميع لأن به عمران الأرض وتشـنج شـهريار يدان بلباقةٍ مع مطلع كل قصـة حين تقول له شـهرزاد : " بلغني ايها الملك السعيد .. ذو الرأي الرشيد " وهو أقل الملوك سعادة ورأيه لتأكيد ليس رشيدا إطلاقاً .

إن لدينا الكثير عزيزتي لنتعلمه من تراثنا حتى في هذا الباب فقد كان نصـيب الرجال من النسـاء ونصـيب النسـاء من الرجال في تاريخنا أكثر بكثير من نصـيب رجالنا ونسـائنا اليوم ، فالمحافظة أو الكبت الذي تعانيه مجتمعاتنا والذي كثيراً ما تتهم به ثقافتنا القديمة لم نرثه عن اجدادنا فقد كانوا في كثير من الأحيان أكثر حرية وجرأة واستمتاعاً منا.

بل إن بعضـاً من هذا التشـنج ربما طرأ علينا في القرن التاسـع عشـر الميلادي مع ما يسمى (الأخلاق الفيكتورية) .

وهي فترة من التاريخ الإنكليزي تشير لحكم الملكة فيكتوريا بين عام ألف وثمانمائة وسبعة وثلاثين وعام ألف وتسعمائة وواحد ، وكان المجتمع البريطاني فيها شديد التشنج والمحافظة حتى كان فيها مجرد ذكر البنطال عيباً فيُكَنى عنه (بعبارة الضـــرورة الجنوبية) .

وشيوع عادة الزواج مرة واحدة طيلة العمر واعتبار الطلاق فضيحة والمطلقة امرأة منبوذة أتتنا من تراثٍ أوروبي الطلاق فيه حرام ولم تكن من تراثنا .

ان السـهولةَ النسـبيةَ للزواج والطلاق في تراثنا كانت ميزةً تنازلنا عنها وأحللنا محلها صعوبةً مستوردة ، وإن ملايين النساء والرجال في بلادنا يبقون بلا زواج أو بلا عشقٍ حقيقي معظم أعمارهم.

بينما افتكَ الذين اســتوردنا ذلك منهم أنفســهم من تلك الصــعوبة وأحلوا محلها ترتيبات أخرى وأصبح بعضنا يقتبس تلك الترتيبات ليكون مقلداً مرتين ! .

لا اقول يا حبيبتي علينا أن نعود للتراث ولا أن نقلدَ الآخرين بل أن ننظرَ ونبحث في نظام يكون أنفع وأعدل وأجمل للجميع ، ولنقرأ بلا خوف فنحن نكاد نكون الأمة الوحيدة التي يفخر أجدادها الذين عاشوا قبل ألف سنة على أحفادهم بأنهم كانوا عشاقاً أمكرَ أسعد .

تضـم الفتاة حبيبها مرة أخرى بعد الحديث الغامر ضـمة ملهوف للجنس مرة اخرى ، جنس الأفكار والعقول ، إنها تحب أن تسـمع صـوته أكثر من ان تتكلم ، ترى صـوته مثل أغنية في حقل اصفر يَطربُ مسمعيها فالأذنُ تعشقُ قبل العين ويحدث جناس الصوت والأذن كأساس للعشق قبل جناس الروح والجسد .

تبادره بالسؤال مرة أخرى ، كيف يستطيع الإنسان العشق ونحن نعيش حالة حرب ؟ حالة حرب من ذاتنا أولا فلا نكاد نعرف عودا حقيقياً او رأيا سياسياً قويماً وكيف يكون عشق وحب ونحن نعاني في بلادنا حالة حرب من كل الجهات وفي الأخبار نسمع عن أهل غزة وما يعانوه من إجرام الاحتلال إنه شيء يفطر القلب ويقتل الرغبة في العشق .

يجاوب الشاب :

لا أدري لماذا يلح علينا الحب وقت الحرب، هل نهرب من الركام إلى العيون الكحيلة؟ هل نحاول تشتيت انتباهنا عن الكوارث؟ هل نشعر بندم مضاعف على أبواب عشق فتحت لنا ولم ندخلها حين ندرك قصر الوقت؟

أم إن الامر أهون من ذلك وأبسط، أكثر غريزية : الحرب تقلل الأطفال حقيقيةً ومجازاً ، والحب يكثرهم حقيقةً ومجازاً ، يجعلنا أطفالاً ويجعل لنا أطفال ، يكثر أعدادنا ويطيل صبرنا ، ونستبله أمام الموت كأننا لا نعرفه، نتجاهل وما بنا جهل ، ونغضبه كنجمٍ مشهور قرر الناس كسراً له أن يسألوه عن اسمه و عمله كل صباح ، فكلما طرق أبواب المدن بمواكبه سألناه كأننا نسيناه : ما اسمك ثانية ؟ ثم نتركه على الباب ونرحب بذلك الضيف الثاني الخجول الذي لا يكاد يبين صوته وهو يقول : اسمي الحب والله أعلم ، نستحمق أمام الحب والفدائيون في غزة يهربون باقات الورد عبر الأنفاق مع الخبز والسلاح .

يا مرحي يا كحيلة العيون بلا كحل لو كنت تدرين كم قوةً تبث فيها ابتسامتك وقولك لي " بتهون " ، لو كنت تدرين كم عدواً تهزمين حينما تفتحين لي ملاجئ بين كفيك وكم من جرحٍ تشفينه .

بديهية الحب

(1)

ف لله قلبي ما أشد تصبري ... إذا كنت عنها طـــرفةَ العينِ أصبرُ
أدبر عيشي بعدها غير أنني ... أرى المـوت في العيشِ الذي أتدبرُ
وبي ألم لا تسكر الخمر ربه ... ومنه وإن لم أشــرب الخمر أسـكرُ
ولكنه في ما يقال مقدرٌ ! ... ومــن ذا الذي يرتـدُ عن المقــدرُ؟

باللهجة المصرية أقول :

(2)

من زحمة الأتوبيــس ومن اكتئاب الناس

من قعـدة النت للســـاعة تلاتة الفجر

من كل سفـــر بنرحـــله ركوب أو نمشيه

حـــــواجز مزينـــة تاخد هوايا الشـــعب

مـــش فارقة ليهم إرهابـــي أو مطلوب

هات المعلوم يا سيدي وارحل بلاش ســب

ما نحن واقفين في البرد أو في الشـــوب

نحمي الوطن من كل مؤامرة أو ملعوب

ونشيـــل من قلوب الناس قضـايا الرعب

من كل دا كان أكيد إنه يصير " حـــب "

من ضمة الأم وقت الي توصلي البيت

بدلي هدومك يبنتي وانزعي همومك

وهاتي من المطبخ بسرعة علية الزيت

والدك بقاله حتة معصب وعايز يشوفك

وأختك جاية عشان بكرا نغسل الموكيت

تعبـــــت أوي يبنتـــــي وأنـــا بدونـــك

أنا اليـــوم من التعـــــــب حنام " طب "

من كـــــل دا كان أكيد أنه يصير " حب "

(٣)

من كل قصة غرام تبدأ ولا تكملـــــش

والشب يستر على دمعه بضحك وألـــــش

يقول كلام يتسمع .. نسمع كلام متألش

وقصتـــــــه المـــؤلمة فيها شوية فخر !

بيبقى نجم القصص في شلته كم شهر

نقله عديها يمسك فيها ما يسيبهاش

عايز لها معنى ويحطلها لو ملهاش

والسيجارة حصن حصين قيمتا ما تتأدرش

وائل نصح محمد سيبها تعدي يدرش

واعمل حسابك عشان بكرا متتكررش

ومصطفى قال ل محمد : بس عديها

دي حتى وحشة يراجل عجبك إيه فيها ؟

رح تلاقي غيرها .. مـــــهياش تـــوب

من كل دا كان أكيد أنه يصير " حب "

(٦)

من أنه يوم الوداع يبقى الحشيش ملجأ

والحزن والخوف يبقى واطي وملزأ

من كل حاجة البشر كانت بترميها

أكوام زبالة وفيها حياة بتفاصيلها

مش فارقة ويا البشر خليها أو شلها

لو شلتها هية هية لو تخليها

مش طالبة يا مرحي صلاة ودعوة للرب

من كل دا كان أكيد أنه يصير " حب "

(5)

كلام كبير أوي لكن لسا مش جايب

في حاجة يا مرحي بحبك إلهية

جبنا الطيب المتنبي طلع خايب

والفصحى ساعات يامرحي بتبقى مش هية

بكتب قصيدة غزل لو قلت يا " مرح "

كم مية سنة من الغزل تلات حروف شايلة

مرة تكون الوطن مرة تكون غربة

ومرة شاعر يدلل عالجنون بيها

مرة كناية عن الدنيا وبلاويها

ومرة قفلة موشح تربط العُرْبَة

ومرح للمتصوف رمز للكعبة

ومرح للمتخوف يحتمي فيها

كناية عن وحدة تانية خاف يسميها 5

تلات حروف زي مَية عالحصى سايلة

ودايبة فيها ممالكنا ودول دايلة

(6)

يا شمس إيش حيلة الرسامَة في رسمك

يا مشكلة الشعرا يحتاروا في حسمك

بكتب تاريخ العرب لما بقول اسمك

تاريخ تقيل تلقي تحته الأرض محنية

عايز أوصفه ألف معجم من حواليه

سطرين غزل وعشر أسطر بكائية

قلتيلي اسمك كدا فجأة وبطيب نية

تاريخنا كله صبح لازمة في أغنية

.. في حاجة يامرحي بحبك إلهية

(٦)

يا آية ساكنة المنازل أنزلت فيا

تركب التكسي وهي من السما جية

خديها يامرح بجهازها محنية

قصيدة يرجع نسبها ليكي أو ليا

بتفرز الشعرا وهية معدية

فيها معاني فصيحة وهية عامية

وارجع وأختم يا حبيبي بالبديهية :

ف لله قلبي ما أشد تصبري ... إذا كنت عنها طـــرفة العين أصبر

أدبر عيشي بعدها غير أنني ... أرى المــوت في العيش الذي أتدبر

وبي ألم لا تسكر الخمر ربه ... ومنه وإن لم أشــرب الخمر أسـكر

ولكنه في ما يقال مقدرٌ ! ... ومــن ذا الذي يرتــد عن المقــدر ؟

قطط !

لا تسألوني هل تحبك ؟
فمرحي لا تحب القطط

سأكتب عنها طوال حياتي
أبيــات شعــر بهذا النمط

بنية العينين تعشق نفسها
علوية التفكير لا تهوى الغلط

يتألق العقد الرديء بنهــدها
وتلمع الألحاظ كشهاب هبط

فإذا ذكرت اسمها في موضع
حلت الحروف وسمت النقط

لا تعذلوني إن رأيتم ركاكة
فلقد عزفت ألحاني بدون نوط

وما كتبت الشعر حبا وإنما
فشلت فيها جميع الخطط

فلا تسألوني هل تحبك ؟
غداً تحبني وتحب القطط

نقاط هامة : كقاعدة عامة ، لا يولي الرجل الفاضل انتباها كبيرا للمعيار الهوليودي لجمال جسد المرأة (الشيء نفسه تراه المرأة العاقلة) ، ذلك لأن قيم العقلانية و الشفافية و الحياء و العفوية و قوة العزيمة و محبة الذات محبة صحِّية ، ، ،كل ذلك قيم يشغف بها الرجل العاقل شغفا مفرطا ، و أما ما يتعلق بكون الأنف طويلا أو بارزا أو "مذبذبة" أو عريضة القاع أو نحيفة أو ذات صدر مستو بالبطن أو بارز ، كل ذلك لا يدل عنده على شيء ، في مقابل تلك القيم التي ذكرناها.

و من عجيب الأقدار أن اللواتي يصلحن حقا للحياة الزوجية هن اللواتي لا يحزن من حظ المعيار الهوليودي إلا نسبة متواضعة ، بينما ذوات الحسن الجسدي ، فهن في وقت مبكر أدركن أن الزواج صفقة تجارية فاسدة ، ففضلن في عملية حسابية سريعة أن تضطجعن مقابل راتب و عبودية مؤقتة في حضرة الزبون ، على أن يضطجعن مجانا و في عبودية مزمنة .

هكذا يقال إن هذا النوع من النساء يلقن للدعارة أو لمشاهد إباحية في فيلم ما أو كنموذج إشهاري لسلعة ما ، لكم أبدا أن يصلحن للحياة الزوجية. و كل ذلك في الغالب الأعم و إلا فالقضية لا تسير طردا بلا تقطع.

المرأة العاقلة لا تعبأ بطول الرجل أو قصره أو خموله بين الناس أو معدل IQ ، إلى باراميترات هوليودية لا تنتهي ، بل تعبأ بامتلاء قلب الرجل بالحب الحقيقي ، الحب الذي يجعله في عينها كأنه فريدة الزمان؛ تتلخص قيمهما في كونها رجلا ذا عقل موفور و عاطفة جياشة صادقة و استقلال مادي يضمن له حريته و يحفظ له ماء وجهه ، إلى أشياء أخرى هي على غاية من البساطة – مثل هذه القيم هي التي تتأسس عليها العلاقة الصحية ، في مقابل الاعجاب الجنسي أو الاعجاب لدوافع ضعيفة ، تتحطم عند أول عقبة .

الحكم على النساء بأنهن يتصرف بيلوجيا ، حكم مجحف لا يمت بعلاقة للعلم ، ذلك لأن مثل هذا الحكم ليس ينسحب على مطلق أفراد النساء ، و يكفي أن ننظر إلى الأمر الواقع لنعرف أن هذا الإطلاق إطلاق سائب و أهوج (لو أنه يجري على أفراد معينين دون الآخيرين)

المرأة العاقلة لا تختار الشريك بطريقة حيوانية ، لذلك فاعتبارات الطول و العرض و كمية الطعام و الشعر الأملس و زغب القرد (مزغَّب الجسم) ، ، ، كل ذلك لا وزن له في اعتبرها ، و قد تفضل – كما دلت التجارب – رجلا متواضع الطول و أصلع ، لمعقوليته و صدق مشاعره و حريته الفكرية/المادية .

الفتاة التي تتربى على عرض جسدها بطريقة مرضية في مواقع التواصل الاجتماعي أو غيره ، هي فتاة تصرخ بأعلى صوتها بأنها جميلة و محبوبة ، فيسمعها الناس لكم بصوت جسدها ؛ و باعثها على ذلك فراغ عقلها من أي منتوج أصيل ، فاستعاضت عن مركب النقص بالأمل الأخير : الجسد.

و القصة نفسها تجري في الذكور ، مع بعض الخصوصيات.

فهم الحب لا يحتاج إلى سقراط أو أفلاطون أو ديمقريطس أو بروتاغوراس أو أبي الطيب المتنبي أو امرئ القيس ، مع الاحترام الشديد لهم ، لكنه شيء في غاية البساطة ، و يمكن أن تجده عمليًّا في كوخ بين رجل و امرأة ، كما يمكن أن لا تده في كثير من القصور.

يبقى المفتاح المعتبر للحب هو الشعور بالتضامن في المصيبة المشتركة /الحياة ، فكل من لا يحزن لحزنك و يفرح لفرحك هو فرد كم الأحسن أن تتعامل معه ضمن علاقة بائع و شاري ، و كلما كانت كذلك سَلمت من آذى كثيرا.

- **الصداقة بين الرجل والمرأة لا يمكن ان تنجح (دراسة)**

هل يمكن أن يعيش الرجل والمرأة صداقة بريئة دون علاقة حميمية؟

الصداقة بين الرجل والمرأة ليست كما تراه على شاشات التلفاز والروايات. حيث تصور هذه القصص اللطيفة نوع من العلاقات التي تجمع بين شاب وفتاة بدون ابداء أي مشاعر عاطفية او رومانسية تجاه بعضهم البعض.

الحقيقة ان الامر ليس كذلك، حيث أصبحت إمكانية إنجاح علاقة الصداقة بين الرجل والمرأة من القضايا الرائجة والتي تختلف فيها الآراء بشكل كبير.

وكما هو الحال مع مثل هذا النوع من القضـــايا فإن علم النفس التطوري لم يقف مكتوف الايدي لذلك تم إجراء أكثر من بحث واســتطلاع رأي لتحديد بالضـبط ما هي طبيعة الصـــداقة بين الرجل والمرأة وهل يمكن ان تكون افلاطونية تمامًا بدون مشاعر ام لا.

وبالطبع لم يغفل الباحثون عن تحديد الفروقات بين ما الذي يشـــعر به الرجال والنساء في مثل هذا النوع من العلاقات.

هل الصداقة بين الرجل والمرأة يمكن ان تنجح ؟

تختلف الآراء بشكل واسع في الإجابة على هذا السؤال حيث يري البعض ان الصداقة بين الرجل والمرأة امر ممكن، بينما يعارض الاخرون هذا المبدأ من الأســاس ويرونها تجربة مقرر لها الفشل المحتم.

ولأختصر عليك الطريق، تشير معظم الدراسات التي تمت على هذا الشأن او استطلاعات الراي للجنسين على حد سواء ان الصداقة بين الرجال والنساء فكرة فاشلة.

حتى وإن كان كلا الطرفين يحاولون اظهار العلاقة على انها افلاطونيةإلا ان هذا ما هو الا واجهة تغطي عددا لا يحصي من الدوافع الجنسية التي تتدفق في خيال – أحدا طرفي العلاقة على الأقل.

فيما يلي دراسة مرموقة تم نشرها في مجلة علم النفس التطوري تبين استحالة فكرة الصداقة بين الرجل والمرأة.

تم نشر هذه الدراسة عام 2012 والتي اجريت على 88 زوج من الرجال والاناث وكانوا على علاقة يدعون فيها انهم مجرد أصدقاء ولم يصرح احد الأطراف بأي مشاعر للطرف الاخر.

أولا هذه هي الإجراءات التي اتخذها الباحثون لضمان الحصول على أفضل نتيجة ممكنة:

1- تم إخطار المشاركين بإن إجاباتهم ستكون سرية تماماً، كان هذا بهدف جعلهم أكثر ثقة واطمئنان للاعتراف بمشاعرهم الحقيقة دون الخوف من علم الطرف الاخر بما يكنون تجاهه.

2- تم ايضاً التأكيد على الأزواج المشتركين عدم المناقشة حول ما تم سؤالهم عنه حتى بعد مغادرة مقر البحوث.

النتيجة: بعد فصل الأزواج وسؤال كل طرف على حدا وتم استجوابهم عدة أسئلة متعلقة بحقيقة مشاعرهم تجاه الطرف الاخر وهل هناك أي نوع من مشاعر الانج اب ام لا وكانت النتائج تشير الي اختلافات كبيرة جداً بين الجنسين.

كان الرجال أكثر انجذابًا الي صديقاتهم من الإناث، بعكس الإناث الاتي ادلو بان طبيعة العلاقة افلاطونية لا يتخللها أي مشاعر عاطفية اطلاقاً.

الامر الثاني والأكثر غرابه هو ان الرجال لديهم اعتقاد راسخ بأن صديقاتهم يبادلوهم نفس مشاعر الاعجاب.

وايضًا عند سؤال الإناث عن إذا ما كان شركائهم من الشباب يمكن ان يكونوا معجبين بهن ام لا، قد أجبن بإن هذا غير وارد وان العلاقة بالكامل افلاطونية.

وقد فسر العلماء هذا بانه لم يكن لتقديرات الرجال لمدى جاذبيتهم تجاه صديقاتهم من الإناث علاقة تقريبًا بما شعرت به هؤلاء النساء بالفعل ، وكل شيء تقريبًا يتعلق بما يشعر به الرجال أنفسهم – في الأساس. حيث افترض الذكور أن أي انجذاب رومانسي يشعرون به كان متبادلاً.

هذه الدراسة تثبت بشدة انه هناك طريقة واحدة لجعل إمكانية تكوين صداقة بين رجل وامراه بدون عاطفة امر يمكن حدوثه.

وهذه الطريقة ان نكون جميعًا نفكر مثلما تفكر النساء وهذا ما لن يحدث إطلاقًا

- **لماذا الصداقة بين الرجل والمرأة لا تنجح ؟**

حسناً الدراسة المذكورة أعلاه وضحت بما فيه الكفاية انه غالبًا ومما لا شك فيه انه لن تجنح علاقة بين رجل وامراه بدون ان يكون هناك دوافع خفية لدي أحد الطرفين ينتظر الوقت المناسب للبوح بها.

والآن نتحدث أكثر عن الأسباب التي تجعل من الصعب حدوث صداقة بين الرجال والاناث :

أ- الغريزة تقف في طريق هذه العلاقة

مشاركة شخص آخر حياته يعني انه يفتح لك بابًا للتعرف عليه أفضل، في هذه الأحيان يختلف تمامًا تصورك عنه وعن شخصيته الحقيقة.

غالبًا ما يتضـــح ان ذاك الشـــخص الهادي الخجول الذي كنت لا تراه أكثر من مجرد صـــديق هو أكثر اصـــدقاءك ثرثرة. وغيرها من الاختلافات التي تبدأ تدريجيًا بمدحها والتعلق بها.

في نهاية المطاف قد يجعلك هذا تقترب أكثر وتسعي لجعل العلاقة أكثر من مجرد صداقة.

2- صديق وقت الحاجة

عندما يكون هذا الصـــديق الذي يتواجد دائما من اجلك في أحلك وأضـــعف اوقاتك ستجده لا شعورياً يحتل مكانًا خاصاً في قلبك.

وخاصة عندما يكون من الجنس الاخر سيجعلك هذا تفكر أكثر وأكثر في تخيله شريكًا عاطفيًا مثاليًا مستقبلا.

3- انسب شخص للحب والعلاقة :

هل تساءلت يومًا عن سبب وقوع معظم الناس في حب أفضل أصدقائهم؟ طبيعة البشـــر هي أن يكونوا أكثر تعلقًا بالأشـــخاص الذين يقدروننا أكثر ويفهموننا بشـــكل أفضـــل. مع مرور الوقت ، تتعلم أن الأشـــخاص الوحيدين الذين يقدمون هذا بصـــرف النظر عن العائلة هم أصدقاؤك وبشكل أكثر تحديداً أولئك الذين ينتمون إلى الجنس الآخر.

4- الجميع يتوقع منكم الارتباط :

عندما يكون هناك شـــخص واحد دائما ما تتكلم معه، وتحكي عنه للأخرين قد يبدا الناس في التلميح لإمكانية الارتباط بين هذا الثنائي المثالي مع مرور الوقت ، قد يبدأ

أي منهما (أو كليهما) في تصـديق ذلك. أنا لا أشـير بأصـابع الاتهام ، ولكن على الأرجح سيكون الرجل هو اول من تتبادر اليه مشاعر العاطفة.

من هناك ، ستتوقف الصداقة الأفلاطونية وقد تبدأ مشاعر رومانسية في الظهور.

5- إشارات مختلطة :

الصـداقة بين الرجل والمرأة تأخذ أكثر من منحي .. في البداية قد لا يكون هناك أي مشكلة فيها ولكن كلما تقدم الامر يميل أي من الطرفين في تفسير إشارات الطرف الاخر على انها اعجاب او انجذاب.

في النهاية قد تسـيطر هذه الإشـارات على تفكير احداهما وقد يبادر الي الاعتراف بطبيعة مشاعره.

لماذا يقبل الرجل بالصداقة حتى وإن كان يريد أكثر من ذلك؟

دراسة حديثة في مجلة Evolutionary Psychology لديها بعض النتائج المقنعة. وجد البحث ، الذي أُجري في النرويج ، أن الرجال والنسـاء يسـيئون فهم بعضـهم البعض بشكل أساسي: فهي تفسر إشاراته عن الاهتمام الجنسي على أنها ودية. بينما يقرأ إشاراتها عن الود على أنها اهتمام جنسي.

في نفس الدراسـة قد أفرط الرجال في تصـور الاهتمام الجنسـي من النسـاء (ذكرت النسـاء أن أفعالهن الأفلاطونية أسـيء فهمها على أنها جنسـية حوالي أربع مرات في السنة).

وهذا يعني بوضـوح ان قبول الرجل للبقاء في خانة الصـداقة مع فتاة لا يعني انه يراها بطريقة بريئة تمامًا. هو في الواقع في قرارة نفسـه يعلم انه سـيكون في مرحلة ما معها على نفس الفراش.

ماذا تفعل إذا كنت في صداقة مع فتاة ؟

لا داعي لتذكيرك بإن هذا الامر محفوف بالمخاطر وقد ينتهي بشـــكل يكســـر قلبك. كونك صديقها المفضل لن تدرك هي ابدأ أنك منجذب اليها كما وضحنا أعلاه.

لذلك ســـتســـتمر في الحديث معك عن الرجال الآخرين ، دون أن تدرك أنها تؤذيك. ستستمر في الضحك على نكاتك واخبارك بمدي لطفك وترسل اليك رسائل مشوشة.

ستستمر في معاملتك كإحدى صديقاتها ، دون أن تدرك أنها تؤذي غرورك الذكوري.

الطريقة الوحيدة للتخلص من الألم هي إخبارها بمشاعرك.

أفضل ما يمكنك قوله هو الحقيقة كما هو الحال دائمًا.

اجعلها واضحة ، قصيرة ، وسريعة. لا تنتظر ردها ولا تدفعها لإخبارك بما تشعر به.

ليكن الأمر كالتالي علي سبيل المثال:-

أردت أن أتحدث معك عن شيء ما. لقد كنت أشعر بالانجذاب إليك في الأشهر القليلة الماضية. أنت أفضل صديقة لي وأنت أكثر شخص مدهش قابلته في حياتي.

الآن حان دورها. إذا شعرت بالشيء نفسه تجاهك ، فستخبرك بذلك. لا يجب أن يحدث ذلك بعد اعترافك بحبك مباشـرة. في معظم الحالات ، لن تحصـل على رد إيجابي من اول مرة. لذا دع بعض الوقت يمر.

ماذا لو لم تشعر بالشيء نفسه؟

لا يجب أن تأمل إلى الأبد أنها تغير رأيها. عليك أن تحاول المضـــي قدمًا وتلتقي بنساء أخريات.

إن الابتعاد والعيش بدونها هو أفضـــل حلولك، رؤيتها مع رفاق آخرين ســـتؤذيك بشدة وقد تسبب ضررًا عاطفيًا شديدًا. لا تكن ذلك الرجل!

الخلاصة

لا يمكن بأي شكل من الاشكال ان تصبح هناك علاقة عفوية او افلاطونية بين رجل وامرأة.

تشـــير معظم الدراســـات ان الرجال يميلون الي الاعتقاد بأن صـــديقاتهم ينجذبون إليهم، وعلى النقيض من ذلك تمامًا تعتقد النسـاء ان علاقة الصـداقة مع الرجال لا يتخللها أي مشاعر عاطفية سواء منها او حتى من الرجل.

قد يقبل الرجال البقاء كصديق مع فتاة لمجرد انه يطمح مستقبلاً في تطوير هذه العلاقة.

- **المرأة ثنائية الميل أو المثلية :**

الرجل يظن بأن عالم النسـاء هو كعالم الرجال ، بمعنى أن الرجل يقيس عالم النسـاء على عالمه !!

فيظن الرجل التالي .. بما أن الرجل لا تغريه أجسـام الرجال حين ينظر إليها ، فمعنى ذلك بنفس المنطق المرأة لا تغريها أجســام النســاء حين تنظر إليها !! و بالحقيقة هذه الأفكار الراسخة في ذهن الرجل هي خاطئة ، و قياس الرجل الذي قاس به هو خاطئ و لا يصح نهائياً ..

الحقيقة هي التالي .. إن أي امرأة في العالم تغريها أجسام النساء حين تنظر إليها ، نعم ، تغريها و بشدة أيضاً و قد ثبت ذلك بالدليل القاطع في الكثير من التجارب العلمية المختصة التي أشرف عليها باحثون و خبراء علم النفس ..

المرأة ، أي امرأة في العالم حتى و إن لم تكن سحاقية ، هي بفطرتها و بطبيعتها قد تغريها أجسام النساء و الفتيات حين النظر إليها ..

و كثيراً ما نسمع عن نساء و فتيات أعجبن ببعضهن ، نتيجة التحليق و النظر في أجسام و مفاتن بعضهن ، نعم هذه الظاهرة هي منتشرة بكثرة في أماكن العمل التي تجتمع فيها النساء مع بعضهن ، كأن تعجب موظفة بزميلتها الموظفة الأخرى .. فتغريها بعض من أجزاء و مفاتن جسمها

أيضاً ، هذه الظاهرة هي منتشرة بكثرة في سجون النساء ، فكم من مرة أعجبت امرأة بامرأة أخرى سجينة معها في السجن ..

ليس هذا فحسب ، بل قد تعجب المرأة الشرطية بإحدى السجينات عندها في السجن ، فتغريها مفاتن جسمها ..

هذه كلها قصص حقيقية و واقعية .. ليست من وحي الخيال

كما يظن البعض ، بل هي قصص حقيقية ..

هذا فعلاً الذي أكدته الدراسات و البحوث العلمية المتقدمة الحديثة في علم النفس ..

نعم المرأة تغريها أجسام النساء الأخريات و تغريها مفاتن أجسامهن

عالم المرأة ليس كعالم الرجل .. الرجل من الصعب أن يغريه جسم الرجل الآخر ، لكن بالنسبة لحواء الأنثى فهي من السهل جداً أن تعجب بأنثى مثلها و من السهل أن تغريها أجسام النساء الأخريات ..

هذه كلها حقائق مثبتة ، يثبتها الواقع و تثبتها تجارب الحياة

و الأهم من ذلك .. يثبتها العلم ، فكما قلنا بأن آخر الدراسات و البحوث العلمية المتقدمة في علم النفس هي قد أكدت ذلك بالفعل

في احد الدراسات التي أجريت يقول الدكتور ريجر : إن هذه الدراسة التي أجريتها هي لتؤكد لنا نحن كأكاديميين بما لا يدع مجالاً للشك بأن أغلب النساء اللواتي يصفن أنفسهن بأنهن طبيعيات و ينجذبن للرجال فقط هنّ بالحقيقة ليسوا كذلك , بل هنّ لديهن ميول ثنائية بمعنى أنهن في حقيقة الأمر ينجذبن للنساء أيضاً فهن مثليات لديهن ميول ثنائية

ينجذبن (للرجال و النساء) معاً

وبعبارة أخرى المرأة ثنائية اذا لم تكون مثلية تماما ويمكن ملاحظة ذلك في الواقع من خلال نظرات النساء لبعضهن وحالات الاعجاب والتعلق العاطفية والعلاقات الجنسية بينهن والتي زادت بشدة في البلاد العربية مع تصاعد الدعاية الغربية للمثلية والمد الاباحي المحفز لذلك

في البلاد العربية تتظاهر النساء بالتدين وتتكلف الأدب و تتمثل الأخلاق حسب محيطها الاجتماعي وتنكر تلك الحقائق التي كانت حتى وقت قريب طي الكتمان و خلال العقد الماضي تصدرت النساء العربية مشاهدة فئة lesbian على موقع بورن هوب في دراسة احصائية قام بها القائمون عليه ..

ومع اخذ التخلف الجيني وانحطاط مستوى وسامة ذكور الشرق الأوسط و فقرهم المادي لدى الأغلبية منهم في الاعتبار تفضل النساء ممارسة المثلية على الارتباط بذكر بل في الغالب تفضل ترك الذكر والارتباط بأنثى اذا اتيحت لها الفرصة ولا تتعاطف مع الذكر بينما يمكنها التعاطف مع النساء

في احد الأبحاث العلمية الأخرى كانت النساء ذات الرغبة الجنسية المنخفضة هي من تعرف نفسها كطبيعية بينما كلما زادت الرغبة الجنسية قوة لدى النساء كلما زاد تعرفيهن انفسهن على انهم مزدوجات الميل أو مثليات واكدت احد الأبحاث الصحية الأخرى أن المثليات يعشن فترة أقل من المغايرات وتزداد احتمالية إصابتهن بالأمراض الجنسية من خلال العلاقات الجنسية .

- **عيون وراء نقاب! .. لماذا يجب حظر النقاب؟**

إن ارتداء النقاب ليس هو حرية شخصية كما يدعى الدينيون بل هو قهر وإذلال للمرأة ووضعها في حالة من الدونية واخضاعها للسيطرة التى ترضي الغيرة الذكورية الجنسية التي تقهر من إنسانيتها وتحط من كرامتها وتدفعها إلى هاوية الانسحاق والتماهي والتلذذ به في نهاية المطاف .

النقاب هو تشويه للفكر الإنساني وتأسيس حالات مشوه وممسوخة إنسانياً سواء للرجل أو المرأة .!!

فهو إساءة للرجل لأنه تجعل منه حيوان شبق لا يعرف شيئا إلا الغريزة بعنفوانها وعفويتها ولا يستطيع أن يسيطر على نفسه و شهواته أمام المرأة التي من أن يرى وجهها إلا وانتفض قضيبه طالباً النزال .!!

عندما نكون أمام منتوج إنســـاني وصـــل إلى هذه المرحلة من العيش في الإذلال والدونية والتوائم معها فلن نرجى من المرأة أي أمل في مشـاركتها الحقيقية في الحياة ..ولن يكون إنتاجها إلا نماذج بشـرية ممسـوخة ومشـوه بعدما قام الذكور بقمع طبيعتها ومسـخها للتماهي مع طبيعتهم ورغباتهم بدلا من التعايش معها على أنها مساوية له وانها النصف الآخر للبشرية

سـيكون إنتاجها من البنات التي سـيتجرعن نفس الكأس من الانسـحاق والدونية دون أن يتحركن سـاكناً وسـيتربين من نعومة أظفارهن أنهن كائنات أقل شـأنا وقيمة وإنهن مفجرات لكل الشر والرذيلة والشـهوة , سـيرضـين طواعية أن يكن في أسـفل الدرج والحياة هذا فضـلا عن أن القماش لا علاقة له بالأخلاق والضـمير فهي تنبع من الداخل اما الإجبار على الفضـيلة فلن يخلق سـوى مجتمع متناقض مع نفسـه ومنافق

كما سـتنتج لنا بالضـرورة أولاداً محملين بكل غطرسـة الذكورة وقسـوتها ونظرتها الدونية للمرأة .

ليسـتمر مسـلسـل إنتاج كائنات بشـرية ممسـوخة ومشـوه فاعلاً منتجاً حلقة جهنمية من التخلف والغباء والقسـوة وتشـويه للطبيعة الانثوية واعاقة للانتخاب الطبيعي والجنسي .

مسـببا تدهور في انتقاء الشـريك و انحطاط في النسـل البشـري و هذا فضـلا عن أنه يخفي هوية الشخص ممكناً إياه من ارتكاب الجرائم في وضح النهار بكل خصوصية وشرعية في الخفاء ولاشك أن كثير من النساء تشعر بذلك النفور منه كونه لا يسمح لطبيعتها الانثوية بالتجلي الجمالي وظهورها كأنثى

إذن القضية هنا لم تعد قضية حرية شخصية بل تعدت الأمور لتعطينا إنتاج بشرى أخر يتم تشـــويهه تحت دعوى الحفاظ على العفة بينما هو مزيد من الهيمنة الذكورية في القهر والمتعة في الاعتلاء لامرأة مقهورة .

الخلاصة : لا بد وللحبيبين من لحظات حميمية بينهما سواء كانت حقيقة ملموسة أو إلكترونية كما هو شائع في الآن ، احرص أن تكون عفوية ومميزة .

عفوية بأن تكون غير متقصدة تماماً وألا تكون اعتيادية وألا يكون جل حديثيكما في هذا الشأن ، وإياك أن تمارس الضغط اللطيف على حبيبتك فتطلب منها الممارسة أو الحديث مكرهة وإن لم تتحدث أو تقبل بالممارســـة تقوم بالانزعاج والحرمان العاطفي وإلقاء اللوم عليها ومحاولة استجرار عواطفها .

وهو ما يدعى بالضـــغط اللطيف ، كن رجلاً بكل المقاييس ، واجعل جناس العقول يسبق ويتلو جناس الأجساد فهذا الأهم وهو الغاية والوسيلة .

و اعرف ميول حبيبتك وتفضيلاتها وافهمها واملأ رغباتها إن استطعت بما لا ينقص من هيبتك ورجولتك شيئا ، واحذر أن تستجر فتاة لم تعتد على تلك الأمور .

وحين يكون هناك حب بينك وبينك حبيبك لا داعي لوجود صـديقات لك ، كما أسـلفنا وبحسب الدراسة لا توجد صداقة حقيقية بين المرأة والرجل .

وحينما يراها العالم امرأة عادية ، يكاد لا يرى العاشــق الحقيقي أي شــيء منها إلا في ذهول وعبادة دائمين .

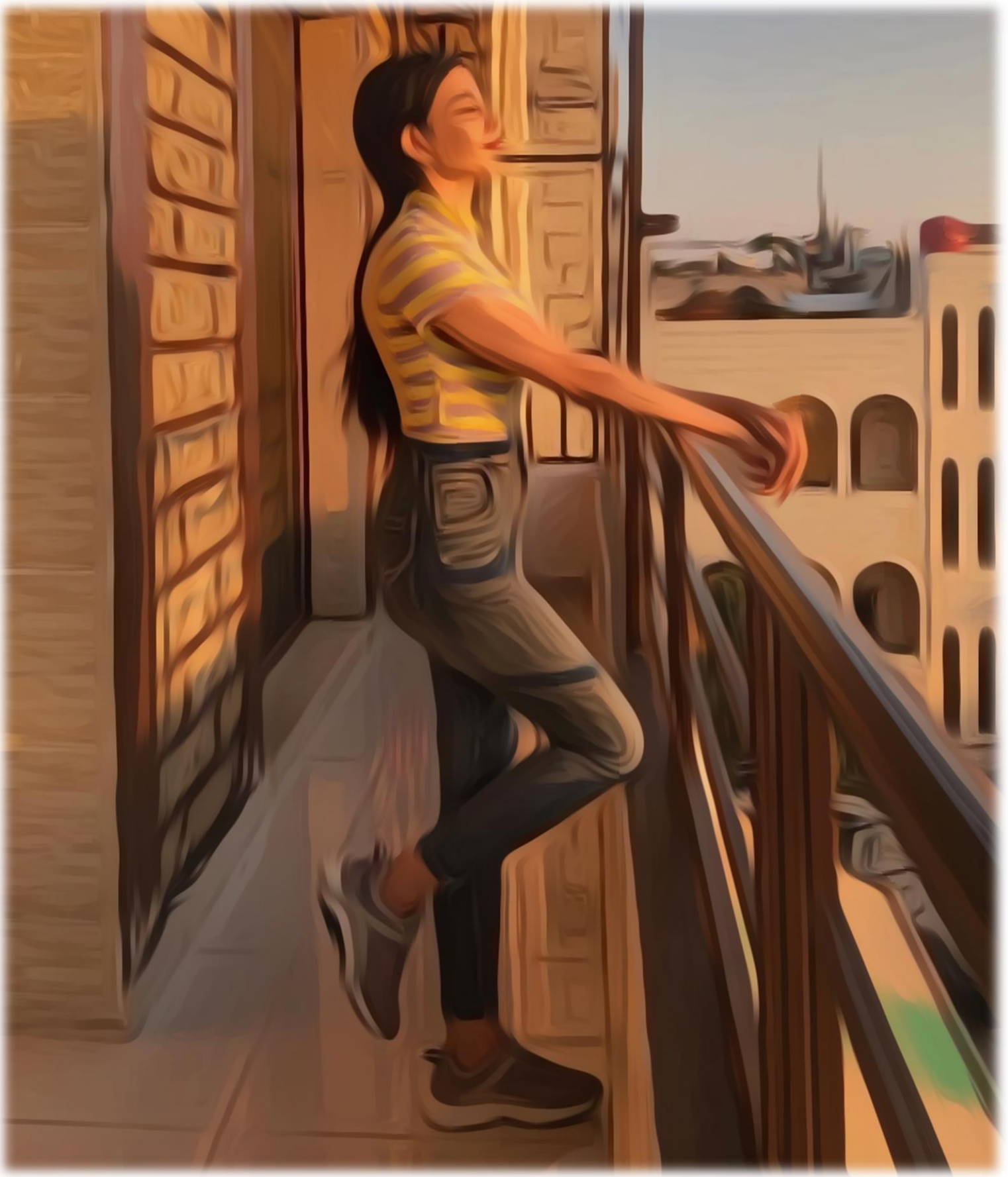

" حاول أن تنجح وإن لم تستطع فافشل بأجمل طريقة ممكنة "

الفصل السادس

عنوان الفصل : الوداع

القاعدة العامة : دعَا داعي الأحبةِ بالوداعِ *** وما الصبرُ الجميلُ بِمُستطاعِ

القصة : ما هو ثمن المسامحة الدائمة ؟

سلم محمد رأسه للوسادة مصغياً إلى موسيقا السيمفونية الأربعين لموتزارت ، موسيقا مدهشة تخلقه من جديد ، وتعيد إليه طفولته المسلوبة ، عيناه تصهل في أغوارهما شهوة مجنونة للقاء مرح صباح اليوم التالي .

إنه يكره السفر إذ اعتاده خمس سنين يقيسه بالأشبار ذهاباً إلى جامعته التي تبعد عن منزله 350 كم .

ولكن سفرة غدٍ مختلفة ، سيكون اللقاء الثاني مع مرح ، مرح ! بمجرد أن تخطر بباله تستفيق أزهار الصمت الغافية في أحضان الأعشاب الذابلة حوله ، وتنشر أريجاً يخدر لحمه ويسرق كل الكلمات ويصبح الكون ورديا ويزيد العشق وتزيد الأعمال الأدبية ، وتتلألئ المصابيح في كل مكان وتَهزم عتمة الليل واكتئابه .

وتزداد الولادات وتغيب الدورة الشهرية عن كل نساء الأرض وتصبح الأفواه حبلى بمئات الكلمات ، وتشاهد الكواكب بوضوح في السماء ، وتغدو الحياة أحلى والنساء أشهى والنهود أنقى ، وتتحضر الشعوب وتتشكل مدن ولغات أخرى ، وتتظاهر كل المدن العربية ضد عصور القهر وضد الأنظمة القبلية .

وامتلكته النشوة مرة أخرى وأحس أنه أكثر المخلوقات سعادة ، ولم يستطع الرقص لأن عينا أمه كانتا تراقبانه بفضول .

فقصد المرحاض وهناك أسند خده الى الجدار الخشن الوسخ ، وضحك طويلاً دون خجل ، ثم غسل وجهه بماء بارد وطفق يمشي مشدود الأعصاب نحو الشرفة .

وكان القمر الأبيض معلقاً في فضاء الليل الأسود ، والهواء رطب استنشقه بشراهة بينما ينظر كومة التراب والحجر التي أمامه ، يخيل إليه من شدة حماسه القفز نحوها وأنها ستمتص صدمته ببطء.

وفي لحظة ستتحول تلك الكومة إلى جسد مرح ، مغمضة العينين نصف اغماض ، تلهث مفتوحة الفم وتتأوه بحرارة بينما تلوى جسدها العاري الناضح تحت ثقل جسده المنتصر المغتبط بولادة أفراحه المتوحشة .

وكان يتوق إلى انسحاق جسديهما في التصاق دبق محموم مملوء باللذة ، وكانت مرح ترفض رغبته بفزع واستغراب وإن كانت تبتهج وتعانقه بقوة كلما لمس جسدها المكتنز بيديه الخشنتين واعْتُصِرَتْ بين شفتيه لحم فمها وصدرها .

وظن وقتئذٍ أن حبه لها سيظل حياً حتى الموت ، ولربما أقنع الآخرين بحبها فيعيش الحب جيلاً بعد جيل ، تاريخاً بعد تاريخ .

طاف صباح اليوم المنشود كاشفاً الأزقة والشوارع ، لم ينم محمد تلك الليلة وفر النعاس من عينيه كحُمُرٍ مستنفرة فرت من قسورة ، من شوقه للقاء وانتظاره الصباح وموعد حجز رحلته إلى حمص .

يصعد الباص يبحث عن مقعده وسط صخب مزدحم حوله ، ثيابه جميلة وياقة قميصه بيضاء صلبة تحنو على ربطة العنق ذات لون ينسجم بفتنة مع لون بذلته ، وشعره مصفف بعناية ، ويحيط به عدد من العساكر الغارقين بالضحك وتأليف القصص البطولية طيلة وقت الرحلة .